

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة أمدرمان الإسلامية

كلية اللغة العربية

كلية الدراسات العليا

قسم الأدبية والنقدية

بحث لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير)

بعنوان

الإيجاز والإطناب

دراسة تطبيقية في القرآن الكريم

الثلث الأول

إشراف

د. الحبر يوسف نور الصائمر

إعداد الطالبة

هند عبد الفتاح عبد التام إسماعيل

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المقدمة

أبدأُ بِسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينًا رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرًا مُعِينًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتِبَانَا
أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي اسْتَغْفِرُهُ
وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قَضَى
وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
رَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا وَالْآلُ وَالصَّحْبُ دَوَامًا سَرْمَدًا

مفهوم الإيجاز والإطناب عند القدماء والمحدثين من البلاغيين والنقاد والأدباء لا يكاد يختلف كثيراً ، بل يوشك أن ينطبق ويتفق ، والذي حدا بي للتطبيق في القرآن الكريم هو حُبِّي وحب المسلمين عامة للغة العربية ألا وهي لغة القرآن العظيم ، وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه في بستان العارفين قوله أنه قال : عليكم بالتفهم في العربية ، وهي أشرف اللغات وأسمها لأشرف الكتب وأزكاها ، كيف لا ؟ وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه حيث قال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (١) ، وهذه الآية لم يسمع بها مجموعة من السفهاء تحاول هذه الأيام أن تأتي بكتاب مثل كتابنا الكريم وتعمل على تعديل أو إحكام بعض منه خابوا وخسروا ومثلهم مثل الذي يحاول إطفاء نور الشمس ، ولم يدركوا بأن القرآن : { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (٢) ، ولأنهم لم يسمعوا ويقرءوا عن عجز أرباب الفصاحة والعقول الذين وقفوا مشدوهين عاجزين

^١ سورة الحجر : الآية (٩) .

^٢ سورة فصلت : الآية (٤٢) .

أمام هذا القرآن العظيم الذي هو معجز في كل شيء علمياً ولغوياً وغيره وأنّ هناك كتباً ومجلّلات أُلِّفَت وما زالت تُؤلّف من ناحية الإعجاز اللغوي والعلمي والعددي وغير ذلك .

وعن حُبِّي وحب المسلمين للقرآن قال ابن مسعود (رضي الله عنه) :
من أحبَّ القرآن أحبَّ الله ورسوله ، فمن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره ،
ولا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم ، فهو لذة قلوبهم ، وغاية
مطلوبهم .

وأسأل الله ألاَّ أُؤثم إن أخطأت في التطبيق عليه ، لكنني لم أعثر على
مثله لبحثي المتواضع الناقص غير الكامل ، فالكمال لله سبحانه وحده ، ولولا
هذه الأسباب ما طبقت عليه :

جاء تقسيم بحثي على بايين :

الباب الأول : ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإيجاز لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني : موضعه في علم المعاني .

الفصل الثالث : أقسامه وتطبيقاته .

الباب الثاني : الإطناب .

الفصل الأول : الإطناب لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني : رأي النُّقاد فيه وأسراره البلاغية .

الفصل الثالث : أقسامه وتطبيقاته .

وقد استخدمت بعض المصطلحات مثل :

ط : طبعة .

ن : ناشر .

ت : تاريخ .

د : دون .

ج : جمع .

ثم ختمت بالفهارس .

وما لي إلا قوله تعالى : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } (١) ، ثم قول

القائل وهو أبو نواس الحسن بن هانئ :

قل لمن يدعي في العلم معرفة *** حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقولي لأساتذتي الكرام والمطلعين على بحثي المتواضع قول الشاعر :

إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدِّ الْحُلُلَا *** جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وما توفيتي إلا بالله العلي العظيم .

^١ سورة الإسراء : الآية (٨٥) .

الباب الأول الفصل الأول الإيجاز

مادة الإيجاز في اللغة (وَجَزَ) (الوجز ، الوجزة ، الوجيز ، وجز وجازة،
وجز وجزاً ، ووجوزاً ، أوجز إيجازاً) (١) ، فتقول : جُزْتُ الطريق جوازاً
ومجازاً وجؤوزاً .

والمجاز : المَصْدَرُ والمَوْضِعُ ، والمجازةُ أيضاً .

الوَجَزُ : أَوْجَزْتُ في الأمر : اختصرتُ (٢) .

وَأَوْجَزَهُ : اختصره (٣) .

وَالوَجَزُ : الوَحَاءُ (٤) ومعناه السُّرْعَةُ يُقْصَرُ وَيُمد (٥) .

وَالوَجَزُ : السريع الحركة وهي بهاء ، والسريع العطاء والخفيف من الكلام
والأمر ، والشيء المَوْجَزُ كالوَجَزِ وَالوَجِيزِ ، وقد وَجَزَ في مَنْطِقِهِ كَكْرَمٍ وَوَعَدَ
وَجَزاً ووجازةً وجؤوزاً والمَواجِزُ (٦) .

(وَجَزَ اللفظ) بالضم (وجازة) فهو (وجيز) : أي قصير سريع الوصول إلى
الفهم ، ويتعدى بالحركة والهمزة ، فيقال : (وجزته) من باب وعد ،

^١ محمود بن أحمد الزنجاني ، تمذيب الصحاح ، دار المعارف ، (د. ت) ، ج ٣/١٣٠٥ .

^٢ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، دار إحياء التراث العربي ، ١٠٣٦ .

^٣ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري ، لسان العرب ، دار الفكر ،
ط ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ج ٥/٤٢٧ .

^٤ مرجع رقم ٢ ، ١٠٣٦ .

^٥ مرجع رقم ١ ، ج ٣/١٠٨٤ ، وانظر لسان العرب لابن منظور ، ج ٥/٤٢٧ .

^٦ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار الجليل بيروت ، ج ٢/٢٠٢ .

و (أجزته) وبعضهم يقول : (وجز في كلامه ، وأوجز فيه) (١) .
وجز : وَجَزَ الْكَلَامُ وَجَازَةً وَوَجَزَاً وَأَوْجَزَ : قَلَّ فِي بِلَاغَةٍ ، وَتَوَجَّزْتُ الشَّيْءَ :
مِثْلَ تَنَجَّزْتُهُ .

ورجل مِيْجَاز : يُوجِزُ فِي الْكَلَامِ وَالْجَوَابِ (٢) .
وَتَوَجَّزَ : وَتَوَجَّزَ الشَّيْءَ تَنَجَّزَهُ وَالتَّمَسَّهُ (٣) .

الإيجاز لغة التقصير من أوجز لازماً ومتعدياً ، وجز الكلام فهو وجيز (٤) .
(الْوَجْزُ) مِنَ الرَّجَالِ : السَّرِيعُ الْحَرَكَةَ فِيمَا أَخَذَ فِيهِ ، وَالسَّرِيعُ الْعَطَاءُ ، وَالْبَعِيرُ
السَّرِيعُ ، وَالْعَجَلَةُ ، وَالْخَفِيفُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَالْخَفِيفُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَهِيَ وَجْزَةٌ ،
(ج) وَجِازٌ (٥) .

(وَجَزَ) الْكَلَامُ : (يَجْزُهُ) وَجْزاً ، وَوَجُوزاً : فَهُوَ وَاجِزٌ ، قَصْرَهُ وَقَلَّلَهُ .

(وَجَزَ) الْكَلَامُ : (يَوْجِزُ) وَجْزاً ، وَوَجَازَةً : فَهُوَ وَجِيزٌ ، قَصُرَ وَقَلَّ (٦) .

إثر ذلك يمكن القول بأن معنى الإيجاز لغة قد جاء في عدة كتب بعدة
معانٍ لا تكاد تخرج عن معنى السرعة ، ويحتمل السرعة في الكلام للاختصار ،
ومن ثم فالالتماس ، فالمصدر ، فالموضع ، وأخيراً طغت هذه الكلمة على معنى
القِلة والخِفة ، وأكثر ما شاع فيها هو قلة الكلام واختصاره ، والله أعلم .

^١ أحمد بن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، طبع بمطبعة مصطفى
البابلي الحلبي ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ج٢/٣٢٣ .

^٢ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥/٤٢٧ ، وأيضاً المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج٢/١٠١٤ .

^٣ الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ج٢/٢٠٢ ، وانظر المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس ،
ج٢/١٠١٤ .

^٤ محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ط٢ (د. ت) ،
مكتبة الكليات الأزهرية ، ج٣/١٦٩ .

^٥ د. إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ط٢ ، انتشارات ناصر خسرو ، طهران ، إيران ،
ج٢/١٠١٤ .

^٦ مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، المعجم الوجيز ، دار التحرير ، ١٩٨٩م ، ص٦٦١ .

الإيجاز في اصطلاح علماء البيان :

نجده عندهم هو : اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل (١) .
ونجده عند غير هؤلاء الأدباء والبلغاء من أمثال السكاكي (٢) والقزويني (٣)
وغيرهما أن مفهومه وإن اختلفت صيغ التعبير عنه واحد وهو : جمع المعاني
الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح (٤) .
وفي (جواهر البلاغة) أيضاً غير أنه أضاف بقوله : فإذا لم تف العبارة
بالغرض سُمِّي إخلالاً وحذفاً رديئاً ، وقسم الإيجاز لقسمين أحدهما قصر
والآخر حذف (٥) ، وقيل : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل
المراد بلفظ مساوٍ له ، أو ناقصٍ عنه وافٍ ، أو زائدٍ عليه لفائدة (٦) .
فالمراد بالمساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني
لا يزيد بعض على بعض (٧) ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير ، أو تميم ،
أو اعتراض . وقولنا (وافٍ) احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً
عن أداء المعنى . وقولنا (لفائدة) احتراز عن شيئين :

١ يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي ، الطراز ، دار الكتب العلمية بيروت ، (د. ت) ، ج ٨٨/٢ .
٢ السكاكي : يوسف بن أبي بكر السكاكي صاحب المفتاح ، كان حنفياً ، إماماً كبيراً ، عالماً ، بارعاً
متبحراً في النحو والتصريف وعلم المعاني والبيان والعروض والشعر ، [انظر شذرات الذهب ، لأبي الفلاح
عبد الحي بن العماد الحنبلي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د. ت) ، ج ٥-٦/١٢٢] .
٣ القزويني : محمد بن عبد الرحمن ، جلال الدين ، ت : ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨ م ، فقيه الشافعي ، أديب
يعرف بالخطيب ، ولد بالموصل وتوفي بدمشق ، قاضي القضاة في مصر ودمشق حيث وُلِّي الخطابة بما له
(تلخيص المفتاح) للسكاكي ، و (الإيضاح) في المعاني والبيان ، [انظر المنجد في الإعلام ، ط ١٠ ، دار
المشرق بيروت ، ص ٥٥٠] .

٤ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١٧٦ .
٥ السيد أحمد الهاشمي بك ، جواهر البلاغة ، ط ١١ ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، مطبعة حجازي ،
ص ٢٢٢-٢٢٣ .

٦ الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ص ١٧٣ ، ١٧٨ .

٧ المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

أحدهما : التطويل وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام .
ثانيهما : ما يشتمل على الحشو ، والحشو : ما يتعين أنه الزائد ، والإيجاز
ضربان :

أحدهما : يفسد المعنى .

والثاني : مما لا يفسد المعنى (١) .

وهو ضربان :

أحدهما : إيجازٌ قَصْرٌ .

والآخر : حذف (٢) . لكننا نجد من يقول : بأنَّ حدَّ الإيجاز دلالة اللفظ على
المعنى من غير أن يزيد عليه ، وأنه أنواع والأشهر منها إيجاز قصر وإيجاز
حذف (٣) . ومن يقول : يجب أن نَحِدَّ الإيجاز المحمود بأن نقول : هو
إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ (٤) .

ومن هذين القولين نستخلص الآتي :

أن هناك إيجازاً محموداً وآخر مذموماً ؛ لأن الإيجاز والإكثار إنما هما في
المعنى الواحد ، وإذا كان المعنى يمكن أن يُعَبَّرَ عنه بألفاظ كثيرة وألفاظ قليلة ،
فالألفاظ القليلة إيجاز (٥) محمود .

^١ مرجع رقم ٦ ، ص ١٧٣-١٧٨ .

^٢ مرجع رقم ٧ ، القزويني ، الإيضاح ، ص ١٨٤-١٨٧ .

^٣ أنعام فوّال عكّاوي ، المعجم المفصّل في علوم البلاغة ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، بيروت ،
ص ٢٤٤ .

^٤ أبو محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي ، سرُّ الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ص ٢١١ .

^٥ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط ٢ ، ١٣٧٨هـ-
١٩٦٨م ، دار المعارف بمصر ، ص ٧٦ و ٨٠ .

أعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حُرُوفه وقتلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى (١) ، لكن جاء من أنكر هذا القول بأن الإيجاز ليس يُعني به قلة عدد الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومار (٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردّد وهو يكتفي في الإفهام بشطره (٣) ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل (٤) (٥) وبه قال : أبو هلال العسكري (*) ، وأضاف بأن : الإيجاز هو قصور البلاغة على الحقيقة ، وأن الهذر (٦) والخطل من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلاغة صاحب الصناعة ، ولم يذكر أقساماً للإيجاز غير قسميه المشهورين

^١ الخطيب القروي، التخليص في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢ (د. ت)، ص ٢٣٤ .
^٢ طومار : من الطمر والمطمورة : حفرة ، أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفيّاً ، يُطمرُ فيه طعام أو مال ، ص ٥٧٦ ، الفراهيدي ، العين .
^٣ شطره : قَصْدُه ، ص ٤٧٩ ، الفراهيدي ، العين .
^٤ الخطل : هو الذي لا يقصد قَصْدَ الهدف ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ، الفراهيدي ، العين .
^٥ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ، ج ١/ص ٩١ .
^{*} هو : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا ن أبو هلال العسكري ، صاحب الصناعتين ، كان موصوفاً بالعلم والفقّه والغالب عليه الأدب والشعر ، له من التصانيف : كتاب صناعتي النظم والنثر ، والتلخيص في اللغة ، وجمهرة الأمثال وغيرهم ، انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة العصرية ، (د. ت) ، ج ١/ص ٥٠٦ .
^٦ الهذر : الكلام الذي لا يُعْبَأُ به ، ص ١٠٠٨ ، الفراهيدي ، العين .

القصر والحذف (١) ، ولم يعارض ابن الأثير (٢) هذا الرأي لكنه ألبسه بعض المعاني بأن قال هو : حذف زيادات الألفاظ نوع من الكلام الشريف ، والنظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني ؛ فَرُبَّ لفظٍ قليل يدل على معنى كثير (٣) ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول (٤) ورب لفظٍ كثير يدل على معنى قليل (٥) .

فأداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط سواء كانت القلة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل إيجاز (٦) لكن قد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز . وإذا كان الإطناب لا منزلة إلاّ ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذٍ إيجاز ، كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه ، فالإطناب فيه إيجاز (٧) .

^١ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، بيروت ، لبنان ، ص ١٩٣-١٩٥ .

^٢ ضياء الدين بن الأثير ، صاحب العلامة أبو الفتح نصر بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزريّ ، الكاتب البليغ صاحب (المثل السائر) ، وزر بدمشق للملك الأفضل فأساء وظلم ، ثم هرب ، ثم خدم الظاهر صاحب حلب ، وذهب رسولاً في آخر أيامه إلى الخليفة ، فمات ببغداد في ربيع الآخر ، وكان بينه وبين أخيه عز الدين مقاطعة كُليّة ، انظر العبر ، الحافظ الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٩ .

^٣ ابن الأثير ، المثل الثائر ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، ج ٢ / ٦٨ .

^٤ أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أدب الكتاب ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٩ .

^٥ ابن الأثير ، المثل الثائر ، ج ٢ / ٦٨ .

^٦ أبو يوسف يعقوب بن أبي بكر بن السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط ٢١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص ٢٧٧ .

^٧ الرُّماني والخطّابي والجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص ٨٠ .

وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة ، ووقف عند منتهى البغية وإنما الألفاظ على قدر المعاني فكثيرها، لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها. والمعاني المفردة ، البائنةُ بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقلِّ ممَّا تحتاج إليه المعاني المشتركة ، والجهات الملتبسة (المختلطة) ، ولو جهد جميعُ أهلِ البلاغة أن يُعلِّموا من دونهم عن هذه المعاني بكلامٍ وجيزٍ يغني عن التفسير باللسان والإشارة باليد والرأس لما قدرُوا عليه (١) .

قال الجرجاني (٢) : الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور كان على وجهين :

أحدهما : أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم ، ألا ترى أنك لو قرأت قوله تعالى : { وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (٣) في غير التنزيل لم تقطع بأن هاهنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مرَّ بقريّة قد خربت وباد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً ، أو لنفسه متعظاً ومعتبراً : سل القرية عن أهلها وقل لها : (ما صنعوا؟) على حد قولهم : (سل الأرض من شق أنهارك ،

^١ الجاحظ ، الحيوان ، دار الجليل ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

^٢ هو : عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أبو بكر ، واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، من أهل جرجان له شعر رقيق ، من كتبه : (أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، والجمل في النحو والمعني في شرح الإيضاح ثلاثون جزءاً ، اختصره في شرح آخر سمّاه (المقتصد) في الظاهرية ، وإعجاز القرآن والعمدة في تصريف الأفعال والعوامل المئة ، انظر الأعلام للزركلي ، ج ٤٨/٤ - ٤٩ .

^٣ سورة يوسف : آية (٨٢) .

وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً^(١) وكذا إن سمعت الرجل يقول ليس كمثل زيد أحد لم تقطع بزيادة الكاف وجوّزت أنه يريد ليس كالرجل المعروف بمماثلة زيد أحد . وبه أيضاً جاء قول عنتره :

يا دارَ عِبَلَةٍ بالجِوَاءِ تَكَلِّمِي *** وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبَلَةٍ واسلَمِي (٢)

(فالدار) : منزل القوم مبنياً وغير مبني ، و (الجوَاء) : بلد بسميه أهل نجد جوَاء عَدَنه ، والجوَاء أيضاً : جمع جوِّ ، وهو البطن من الأرض الواسع في انخفاض وقوله (تَكَلِّمِي) معناه أخبرني عن أهلك وسكانك (٣) أما قوله : أمّا ما يوافق الآية فهو قول عنتره :

هَلَّا سَأَلْتُ الخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ *** إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (٤)

قوله (سَأَلْتُ الخَيْلَ) معناه رُكَّاب الخيل، فحذف الرُكَّاب وأقام الخيل مقامهم. ويقال أيضاً : (يا خيل الله اركبي) على معنى : يا أصحاب خيل الله اركبوا ، فحذف الأصحاب وصرف الفعل إلى الخيل فقال اركبي ولم يقل اركبوا (٥) .
والوجه الثاني : أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بحذف أو بزيادة ، من أجل الكلام نفسه لا من حيث غرض المتكلم به ، وذلك مثل

^١ هذا ينسب للفضل بن عيسى الرقاشي وقد كان من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصاً مجيداً ، وكان يجلس إليه عمرو بن عبيد ، وهشام بن حسن ، وإبان بن أبي عياش وكثير من الفقهاء ، وهو رئيس الفضلية (طائفة من المعتزلة) وإليه ينسبون ، كان لا يركب إلا الحمير ، كان أبوه خطيباً وكذلك جدّهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة وفيهم شعر وخطب (البيان للحافظ) دار الفكر ، ط ٤ (د . ت) ، ٣٠٦ - ٣٠٨ .

^٢ ديوان عنتره بن شداد ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

^٣ شرح القصائد السبع ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ج ١/٢٩٠ (فليراجع) .

^٤ ديوان عنتره بن شداد ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

^٥ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليان ، طه ، دار المعارف (د : ت) .

أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة كالمبتدأ في نحو قوله تعالى : { ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } ، { وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (١) وقوله تعالى : { مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢) ، فلا بد من تقدير محذوف ولا سبيل أن يكون له معنى دونه ، سواء أكان في التنزيل أم في غيره ، فإذا نظرت إلى : فصبرٌ جميلٌ في قول الشاعر :

يشكو إليّ جملي طول السرى *** صبر جميل فكلانا مُبتلى

وجدته يتطلب تقدير محذوف كما اقتضاه في التنزيل ، وذلك أن الداعي إلى تقدير المحذوف هاهنا ، هو الاسم الواحد لا يفيد والصفة والموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد ، وجميل صفة للصبر . وتقول للرجل : (من هذا؟) فيقول : (زيد) ، يريد هو زيد ، فتجد هذا الإضمار واجب لأن الاسم الواحد لا يفيد ، وكيف يتصور أن يفيد الاسم الواحد ومدار الفائدة على إثبات أو نفي وكلاهما يقتضي شيئين : مثبت ومثبت له ، ومنفي ومنفي عنه .

أما وجوب الحكم بالزيادة لهذه الجهة فنحو قولهم : بحسبك أن تفعل وكفى بالله ، إن لم تقض بزيادة الباء لم تجد للكلام وجهاً تصرفه إليه ، وتأويلاً تتأوله عليه البتة ، فلا بد لك من أن تقول : (إن الأصل حسبك أن تفعل وكفى بالله) ، وذلك أن الباء إذا كانت غير مزيدة كانت لتعدية الفعل إلى الاسم ليس في (بحسبك أن تفعل) تعرية بالباء إلى حسبك ، ومن أين يتصور أن يتعدى إلى المبتدأ فعل ، والمبتدأ هو المعرى من العوامل اللفظية ؟ وهكذا الأمر في (كفى) أو أقوى ، وذلك أن الاسم الداخل عليه الباء في نحو

^١ سورة يوسف : الآية (١٨) .

^٢ سورة النحل آية (١١٧) .

(كفى بزيد) فاعل كفى ، ومحال أن تعدى الفعل إلى الفاعل بالباء أو غير الباء ، ففي الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجة معه إلى متوسط وموصل ومعد ، فاعرفه والله أعلم (١) .

مما سبق فقد ثبت لدينا بالدليل والبرهان أن هناك إيجاز بالحذف ، وأن من نفي ذلك إما يكون قد أخطأ أو قصد شيئاً آخرًا ، أو أنني أسأت فهم كلامه ، فقد جاء من قال : إن الإيجاز هو : (اختصار بعض ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم ، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وُضِعَ له ؛ فإن الاختصار أن نحذف بعض الاسم كما قدّمناه ، ومثاله أن يَقْتَصِرَ المتكلمُ قِصَّةً لا يغادر منها شيئاً في ألفاظٍ قليلة موجزة جداً ، بحيث لو اقتصرها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة ، أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ ، وأكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل ، كقصة موسى عليه السلام في سورة طه ؛ فإن معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة، وهي مستوعبة في تلك الألفاظ (٢) .

لكني أعيب عليه قوله : بأن أكثر قصص الكتاب العزيز ... جاء موجزاً ؛ لأن ما جاء مفصلاً في مكان ، جاء مجملاً في مكان ، وما جاء بإيجاز في موطن ، جاء بإسهاب في موطن آخر على حسب الحكمة والمصلحة والحاجة التي يقتضيها ظرف الخطاب ، وكما قال علماء البيان : [البلاغة

^١ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

^٢ أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري المعروف بابن أبي الإصبع ، تحرير التحرير ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، محمد توفيق عويضة ، القاهرة ، (١٣٨٣هـ - ٤٥٩ ص .

مخاطبة الإنسان بقدر الحاجة ، وبأسلوب الحكمة ، وبالطاقة التي يستوعبها
فكر الإنسان [(١)] .

من ذلك نأتي بمعنى للإيجاز بأنه هو : التمكين من تأدية المعنى بلفظ
قليل ، ففي ذلك خيرٌ للمتكلّم والمخاطب على السواء (٢) ، إذا أفهم أو أدّى
مقصده .

نجد للإيجاز معان عدة منها : التلويح والإشارة (٣) والاختصار (٤)
قال أبو العباس (٥) : [من كلام العرب الاختصار المفهم ، وقد يقع الإيماء إلى
الشيء فيُعني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحّة دالة] (٦) .

جاء تعريف يكاد يكون من أمثل التعريفات لدينا خاصة للذين تحدثوا
عن الحذف وعدمه وهو قوله : [احتواء المعنى في قليل من اللفظ بحذف

^١ محمد علي الصابوني ، قيس من نور القرآن الكريم ، ط ٣ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) دار القلم ، دمشق ،
ج ٣-٤/ص ١٧٠ .

^٢ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ط ٢ ، دار الفرقان للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ -
١٩٨٥م ، ص ٤٥٦ .

^٣ أبو الفتح عثمان بن جنيّ ، الخصائص ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، (د. ت) ،
ج ١/ص ٨٠-٨٦ .

^٤ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تأويل مشكل القرآن ، ط ١ ، مركز الأهرام للترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ص ١٤٠ .

^٥ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد بن عمير بن حسان بن سليم ، أبو العباس الأزدي ثم
الشمالي ، المعروف بالمبرد ، شيخ أهل النحو ، وحافظ علم العربية ، كان من أهل البصرة فسكن بغداد ،
كان عالماً فاضلاً موثقاً به في الرواية ، حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثير النوادر ، حدث عن نبطويه
النجوى وآخرين ، مات سنة خمس وثمانين ومائتين وكان مولده سنة عشر ومائتين ، انظر تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي ، ٣/٣٨٠ - ٣٨٧ .

^٦ أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت ،
(د. ت) ، ج ١/١٧٠ .

^٤ مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، (د. ت) ،
ص ٩ .

أو بغير حذف ، وتلك سمة من سمات القرآن تبدو واضحة في آياته منذ نزول أول آية إلى أن كمل الدين ، وتمت النعمة ، ورضي الله لعباده الإسلام ديناً .

فالإيجاز يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ؛ فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمرٍ كثيرة (١) .

قال معاوية (٢) بن أبي سفيان لصُحَّار بن عياش (٣) العبدي : [ما تعدون البلاغة فيكم] ؟ قال : [الإيجاز] ، قال له معاوية : [وما الإيجاز] ؟ قال صُحَّار : أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تُخطئ .

قيل للمفضَّل بن محمد (٤) الضبيُّ :

ما الإيجاز عندك ؟

١ أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ط ٥ ، دار المعارف (د. ت) .

٢ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيِّ بن كلاب ، أمير المؤمنين ، ملك الإسلام ، أبو عبد الرحمن ، القرشيُّ الأمويُّ المكي ، أمُّه هند بنت عتبة ، قيل أنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، حدَّث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أخته أم المؤمنين أم حبيبة ، روى عنه خلق ليس يبسير ، مات في رجب سنة ستين . قيل في نصف رجب وقيل لثمان بقيت منه ، عاش سبعاً وسبعين سنة انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ط ٧ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، مؤسسة الرسالة ، ج ٣/ ١١٩ - ١٦٢ .

٣ صحار بن عياش (أو عباس) بن شراحيل بن منقذ العبدي ، من بني عبد القيس خطيب مقوّه ، كان من شيعة عثمان . له صحبة ، وأخبار حسنة . وهو أحد النساين ، وله مع دغفل النسابة محاورات . وكان ممن شهدوا فتح مصر . ولما قتل عثمان قام يطالب بدمه ، وشهد (صفين) مع معاوية . وسكن البصرة ، ومات فيها ، انظر الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ٦ نوفمبر ١٩٨٤م ، ج ٣/ ٢٠١ .

٤ المفضَّل بن محمد بن يَعْلَى الضبيُّ التَّحَوِيَّ الكوفيُّ إمامٌ في اللغة والنحو ، راوية للآداب ، والأشعار ، من تصانيفه المفضَّلِيَّات ، وكان يكتب المصاحف ويقفُّها على الناس ، ويقول : هذا تكفيرٌ لما كتبت من أهاجي الناس ، وأخباره مُتَّعة ، وفاته سنة ١٦٨هـ ، ويرجح محقق المفضَّلِيَّات أن وفاته سنة ١٧٨هـ ، انظر إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقي بن عبد المجيد ، ط ١١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٥٢ .

قال : [حذف الفضول ، وتقريب البعيد] .

أو : [ما الإيجاز عندكم] ؟

قال : [ترك الفضول] .

من كل ذلك نخلص إلى أن الإيجاز هو البلاغة (١) .

والعلم في الإيجاز قوله علت كلمته سبحانه وتعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (٢) وأصابته المحز بفضلته على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وذلك قولهم : [القتل أنفى للقتل] (٣) .

وهذه الآية قد ختمت القول في الإيجاز لغة واصطلاحاً ، ومثلاً بشهادة أدبائهم وبلغائهم ولغتهم للأزل .
والله أعلم .

^١ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ط ٤ ، (د . ت) ، دار الفكر ، ج ١/ص ٩٦-٩٧ ، ١١٦ ، مكتبة الخانجي .

^٢ سورة البقر الآية (١٧٩) .

^٣ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص ٢٧٧ .

الفصل الثاني

أسراره البلاغية وموضعه في علم المعاني

باب الإيجاز والإطناب بابٌ رفيع المنزلة ، شامخ في الشرف ، بعيد الغاية ، عظيم الفائدة ، بل هو كالغرة في وجه البلاغة التي تستمد جمالها منه ، وقديماً تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح (١) .

فالإيجاز والإطناب من الأساليب التي تحتاج إلى فطنة وذكاء وتدوق حتى جعلهما بعضهم البلاغة ؛ وذلك لدقة مسلكهما . أمّا كلمة الإيجاز فقد عرفت قديماً منذ العصر الجاهلي والسبب في ذلك لعدم وجود الكتابة ممّا جعلهم يستخدمونه في حفظ مورثاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، والمتبع لما كتبه العلماء يجد العبارات الكثيرة التي ترفع من شأنه وتثني على من رُزق حظاً وافراً منه ، ولا عجب أن نجد أن موضوع الإيجاز كان من أسبق موضوعات علم المعاني التي أشاد بها الكاتبون (فالجاحظ) (٢) كثيراً ما يذكره في أكثر من كتاب من كتبه ، ومن بعده (ابن قتيبة) (٣) في أكثر من كتاب ،

١ الخطيب القزويني ، التخليص في علوم البلاغة ، ص ٢٠٩ .

٢ عمرو بن بحر بن محبوب ، أبو عثمان الجاحظ ، المصنف الحسن الكلام ، أحد شيوخ المعتزلة ، أسند عنه أبو بكر بن أبي داود الحديث ، وهو كنان ، قيل صليبة ، وقيل مولى ، قيل مات في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين ، انظر تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ج ١٢/١٢٢-٢٢٠ .

٣ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ النحويّ اللغويّ الكاتب ، نزيل بغداد ، صنّف إعراب القرآن ، معاني القرآن وأخر ، وُلد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، واتفق أنه أكل هريسة فأصابته حرارة فبقي إلى الظهر ، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ ، وما زال يتشهد إلى السّحر ، فمات وذلك سنة سبع وستين ، انظر بغية الوعاة ، للسيوطي ، ج ٢/٦٣-٦٤ .

و(الرماني) (١) و (الباقلائي) (٢) ، كما يطول الحديث عنه في (الصناعتين) وفي (سر الفصاحة) ، حيث أطلق عليه اسم الإشارة تبعاً (لقدامة) (٣) في (نقد الشعر) وجاء ابن الأثير بعد ذلك فخصّه بجمل مفيدة ، وذكر له شواهد كثيرة من كلام الله وكلام الناس (٤) .

الإيجاز نوع من الكلام الشريف البليغ لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلّى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى ، وذلك لعلو مكانته ، وتعذر إمكانه ، والنظر فيه إنّما هو المعاني لا إلى الألفاظ ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ حتى تتعري عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنّما يختص بالمعاني ؛ فربّ لفظ قليل يدل على معنى كثير ، وربّ لفظ كثير يدل على معنى قليل (٥) .

الإيجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيراً ، فإنهم كانوا إذا قصدوه أتوا بألفاظٍ استغنوا بواحدٍها عن ألفاظٍ كثيرة كأدوات الاستفهام والشرط وغير ذلك ، فقولك : [أين زيد ؟] مغنٍ عن قولك أزيد في الدار

^١ العلامة أبو الحسن ، عليّ بن عيسى الرّمانيّ النحويّ المعتزليّ ، مات في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين و ثلاث مئة ، عن ثمانٍ وثمانين سنة ، أصله من سُرّ مَنْ رأى ، مات ببغداد ، وكان من أوعية العلم على بدعته ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ج ١٢/٥٣٣-٥٣٤ .

^٢ القاضي أبو بكر ، محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن قاسم ، البصريّ ثمّ البغداديّ ابن الباقلانيّ كان يُضرب به المثل بفهمه وذكائه ، كان ثقةً إماماً بارعاً ، صتّف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري ، مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مئة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ج ١٧/١٩٠-١٩٣ .

^٣ ابن جعفر ، كاتب من البلغاء الفصحاء من أهل بغداد ، كان مسيحياً وأسلم على أيام المكتفي . وكان من المتقدمين في علم المنطق ، توفي ببغداد ، من مؤلفاته (الخراج ، نقد الشعر ، نقد النثر) ، انظر المنجد في الأعلام ، ط ١٠ ، دار الشرق ، بيروت ، ص ٥٤٦ .

^٤ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ٤٥٣-٤٥٤ .

^٥ ابن الأثير ، المثل السائر ، ج ٢/٦٨ .

أم في المسجد؟ إلى أن تستقرئ جميع الأماكن ، فغالبا كلام العرب مبني على الإيجاز والاختصار وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة (١) .

الأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها ، وإنما المقصود المعاني والأغراض التي أحتيج إلى العبارة عنها بالكلام ، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة ، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على السواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر ، فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد .

فإن تقارب اللفظان في الإيجاز وكان أحدهما أشدّ إيضاحاً للمعنى كان بمنزلة تساوي الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة ، ومثل ذلك قول أبي القاسم المَطَّرِزِ البغدادي (٢) :

وردتُ وقد حلَّ لي ماؤه *** فلما بكيتُ عليه حرُّمٌ (٣)

وقول مهيار بن مرزوية (٤) .

بَكَيْتُ عَلَى الْوَادِي فَحَرَّمْتُ مَاءَهُ *** وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمَاءُ أَكْثَرَهُ دُمٌ (٥)

^١ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، خزنة الأدب وغاية الأرب ، دار القاموس للطباعة والنشر ، (د.ت) ، ص ٣٦٤ .

^٢ عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب ، أبو القاسم المعروف بالمطرز : شاعر بغدادي ، كثير الشعر ، سائر القول في المديح والهجاء والغزل ، قرأ عليه الخطيب البغدادي أكثر شعره ، انظر الأعلام ، للزركلي ج ٤/١٧٧ .

^٣ لم أعثر عليه .

^٤ الأديب الباهر ، ذو البلاغتين ، أبو الحسن الدَّيْلَمِيُّ ، الفارسي ، كان مجوسياً فأسلم وتشيّع قال له ابن برهان : انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية ، كنت مجوسياً فصرتُ تُسبُّ الصحابة في شعرك . توفي سنة ثمان وعشرين وأربع مئة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ج ١٧/٤٧٢ .

^٥ ديوان مهيار الديلمي ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ، ج ٣/٣٤٤ .

فبيت مهيار وإن قاربت ألفاظه عدد ألفاظ بين المطرّز فقد تضمن من إيضاح المعنى ما لم يتضمنه بين المطرّز ؛ لأنّ قائلاً لو قال : [لِمَ حرم الماء لما بكى عليه؟] لوجب في حق تفسير المعنى وإيضاحه أن يقال : [لأنّ دموعه كانت دماً غلب على هذا الماء ، والدم حرام] .
فقد أتى مهيار بهذا التفسير في متن البيت .

وعلى هذا القياس يعتبر الإيضاح في الإيجاز لئلا يقع فيه إخلال بالمعنى وغموض فيه ، فهذا منتهى ما تقوله الألفاظ بانفرادها واشتراكها مع المعاني ، ومن وقف عليه عرف حقيقة الفصاحة ومائيتها ، وعلم أسرارها وعللها ، فأما الكلام على المعاني بانفرادها فقد قدّمنا القول بأنّ البلاغة عبارة عن حسن الألفاظ والمعاني ، وأن كل كلام بليغ لا بد من أن يكون فصيحاً ، وليس كل فصيح بليغاً ، إذ كانت البلاغة تشتمل على الفصاحة وزيادة لتعلق البلاغة مع الألفاظ بالمعاني (١) .

ولا تظنّ أنّه لا يكون في الكلام إيجازاً إلاّ إذا كان حكمة بديعة ، أو مثلاً رائعاً أو أجوبة مسكتة ، فإنّ الإيجاز مراتب كثيرة ، وقد يبدو الكلام لأوّل وهلة ليس فيه شيء من الإيجاز ، ولكنك حينما تتأمله وتعي طريقة نظمه ، وتدرّك أسرار تركيبه لا تتردد في الحكم عليه بأنّه من قبيل الإيجاز .

وفي بعض الأساليب كالتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، والحذف والذكر تبيّن أن الإيجاز كان من أول الأغراض والأهداف التي يؤدّيها ، ألا ترى إلى قولك : [ما أنا بخلت] ، إذا أردت أن تعبر عن معناه بغير هذه العبارة فإنك تجد نفسك مضطراً أن تزيد كثيراً على الألفاظ التي نطقت بها ؛ لأنّ معنى هذه العبارة كما عرفت في التقديم والتأخير ، ألا ترى أنّك لا تريد

١ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٢١٤ -

نفي البخل عن نفسك فقط وإنما تريد كذلك أن تثبت البخل لغيرك ، فمعنى العبارة إذن : (لست أنا الذي أبخل إنما الذي يبخل غيري) ولو أردت أن تعبر عن بيت المتنبي :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ *** وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا (*)

فلا بد أن تأتي بأضعاف هذه الكلمات لتوفي هذا المعنى حقه ، وكذلك لو قرأت قوله تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } (١) { أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا } (٢) { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (٣) ، تجددك بحاجة إلى ألفاظ كثيرة تقوم مقام التنكير في رسول وعزيز وحريص ، وتقوم مقام الذي دل عليه القسم ، وتقوم مقام التقديم في قوله تعالى : { بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } ، إذ ليس الإيجاز إلاّ كون المعنى أكثر من اللفظ . تلك قضية أحببت إيرادها فمع ما لها من شأن أهملها أكثر الكاتبين ، ولقد وجدت إشارة موجزة لها في كلام الشيخ (عبد القاهر الجرجاني) - رحمه الله - يقول عن كلامه سر النظم في قوله سبحانه : { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ } (٤) حيث قدّم المفعول الثاني وهو (شركاء) ، ولم يقل : [وجعلوا لله الجن شركاء] ، فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدّم الشركاء واعتبره ، فإنه ينبهك لكثير من الأمور ، ويدلك على عظم شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته ، وكيف يزداد في المعنى

* ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، ط ١١ الأخيرة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، ج ٢/٩٥ .

١ سورة الفاتحة : الآية (٥) .

٢ سورة الأنعام : الآية (١٤) .

٣ سورة التوبة : الآية (١٢٨) .

٤ سورة الأنعام : الآية (١٠٠) .

من غير أن يزداد في اللفظ ، إذ ترى ليس إلا تقديم وتأخير ، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ، ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك واحتجت إلى أن تستأنف له كلاماً نحو أن تقول : (وجعلوا الجن شركاء لله ، وما ينبغي أن يكون لله شريك ، لا من الجن ولا من غيرهم) ، ثم لا يكون له إذا عقل من كلامين من الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن ، وقد عقل من هذا الكلام الواحد ومن هنا تدرك أننا بمراعاتنا لهذه الأساليب ننطق بالإيجاز ، وهو شرف لو علمت عظيم (١) .

ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس ، حتى إنهم يستحسنون من كتاب الله تعالى ما كان بهذه الصفة (٢) ولحمد الإيجاز فضِّل أحد الشعراء على صاحبه إذا كانا قد اشتركا في معنى وأوجز أحدهما في ألفاظه أكثر من الآخر ، ولهذا قدّموا قول الشماخ بن ضرار : (٣)
إذا ما رآية رُفِعَتْ لُجْدٍ *** تَلَقَّاهَا (عُرَابَةٌ) بِالْيَمِينِ (*)

١ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٧٩-٤٨٠ .

٢ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص ٢٠٥ ، ٢١٦-٢١٧ ، ٢٢٣ .

٣ ...-٢٢٢هـ-...٦٤٣ م ، ابن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني : شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من طبقة لبيد والنابعة ، كان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقاً ، وكان أرجز الناس على البديهة ، جمع شعره في (ديوان - ط) ، قال البغدادي وآخرون : اسمه معقل بن ضرار ، والشماخ لقبه ، انظر الأعلام ، للزركلي ، ج ٣/١٧٥ .

* ديوان الشماخ بن ضرار البذبياني ، دار المعارف مصر (د . ت) ، ٣٣٦ .

على قول بشر بن أبي خازم (١) :

إذا ما المكرماتُ رُفِعَتَ يوماً *** وقصّرَ مبتغوها عن مداها

وضاقتُ أذرعُ المثرين عنها *** سَمَا (أوس) إليها فاحتواها

وإذا كان ابن أبي خازم سبق الشماخ إلى هذا المعنى ، إلا أنه جاء به في

بيتين واختصره الشماخ فأتى به في بيت واحد .

إذا قلنا أن من شروط الفصاحة الإيجاز لم يكن ذلك منعاً لجواز

الإسهاب ولا رفضاً لاستعماله ، وإنما مقصودنا أن هذا النحو أحسن من ذلك.

وبهذا الوجه يستدل على الفصاحة أكثر من هذا الوجه إذا كان بيننا (٢) .

باب الإيجاز والإطناب والمساواة أساس في بنیان الفصاحة ، وركن

ركين في تكوين ملكة البلاغة حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم

أنه قال: (البلاغة هي الإيجاز والإطناب) . وقد اختلفت آراء الأئمة في تفضيل

الإيجاز على الإطناب، أو العكس، فمن مفضل للإيجاز (كشيب بن شيبه) (٣)

إذ يقول : (القليل الكافي خيرٌ من كثيرٍ غير شافٍ) .

ويقول آخر : إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير في

شيء يأتي به التكلف . والمختار أن الحاجة إلى كلِّ ماسّة ، وأن لكل موضعاً

لا يسد عنه سواه ، فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر فقد أخطأ .

١ (... نحو ٢٢ ق هـ = ... نحو ٥٩٨ م) بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الأسدي ، أبو نوفل ،

شاعر جاهلي فحل ، من الشجعان ، من أهل نجد ، من بني أسد بن خزيمه ، له قصائد في الفخر والحماسة

جيدة ، توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية ، رماه فتى من بني وائلة بسهم ، له ديوان

شعر مطبوع ، انظر الأعلام ، للزركلي ، ج ٢/ ٥٤ .

٢ الخفاجي ، سر الفصاحة ، ٢٢٣ .

٣ ابن عبد الله التميمي المنقري الأهمي ، أبو معمر : أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخو المساكين ،

من أهل البصرة ، كان يقال له (الخطيب) لفصاحته ، وكان شريفاً ، من الدهاة ، ينادم خلفاء بني أمية

ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم ، انظر الأعلام للزركلي ، ١٥٦/٣ .

قال جعفر بن يحيى (١) : متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ،
ومتى كانت الكفاية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً (٢) .

قال عبد الله بن المقفع (٣) : [البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه
كثيرة ، ... فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى
والإيجاز هو البلاغة ، ... فقليل له : فإن ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنّها
حق ذلك الموقف ؟] ... وقد امتدحوا الإيجاز كثيراً فقالوا : [البلاغة إجماع
اللفظ وإشباع المعنى ... البلاغة لمحّة دالة ... البلاغة كلمة تكشف عن
البقية ...] ولعل السبب في هذا يرجع إلى أمة العرب ، وإلى أهمّ أمة صافية
الذهن ، دقيقة الحس ، سريعة الفهم ؛ فالعربي تكفيه الإشارة وتغنيه اللمحة ،
غير العربي يحتاج إلى الإطالة وإشباع القول ، وبهذا علّل الجاحظ إيجاز القرآن
الكريم عند خطاب العرب والأعراب ، والبسط والإطالة عند خطاب بني
إسرائيل (س) وهذا يفسّر لنا أيضاً سر السؤال الذي وُجّه لأبن المقفع في قوله

١ البرمكيّ الوزيرُ الملكُ أبو الفضل الفضلُ جَعْفَرُ ، ابن الوزير الكبير أبي علي يحيى ، ابن الوزير خالد بن
برمك الفارسي ، كان من ملاح زمانه ، كان وسيماً أبيضاً جميلاً فصيحاً مفوهاً ، أدبياً ، عذبَ العبارة ،
كان من ذوي اللسن والبلاغة . اختلف في سبب مصرعه بعدة أسباب : فقليل قد ذبحه مسرور . ودامت
جثته معلّقة مُدّة ، وعُلقت أطرافه بأماكن ثم أُحرقت ، قُتل أول صفر سنة سبع وثمانين ومئة ، عاش سبعاً
وثلاثين سنة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٥٩/٩ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧١ .

٢ أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية بيروت ،
١٨٢-١٩٩ .

٣ من أئمة الكتّاب ، وأول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق ، أصله من الفرس ، وُلد في العراق
مجوسياً ، وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي ، وترجم عن
الفارسية كتاب كليلة ودمنة مطبوع ، وهو أشهر كتبه ، وأنشأ رسائل غاية في الإبداع ، اتهم بالزندقة ،
فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلي .

قال الخليل بن أحمد : ما رأيت مثله ، وعلمه أكثر من عقله ، انظر الأعلام ، للزركلي ، ١٤٠/٤ ،
(س) الجاحظ ، الحيوان ، ٩٤/١ .

المذكور ، والذي ندرك رائحة الاعتراض على مدح الإطناب في موضعه وفي مقامه الذي اقتضاه : [فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ...] .

وبهذا يتضح لك أن للإيجاز مقامات تقتضيه ، ومواضع تلائمه كالحكم والأمثال ، وما يحسن فيه الإيجاز لا يحسن فيه الإطناب (١) .

لكني اختلفت مع الجاحظ في نظرتة هذه فقد جاءت آيات وسور تخاطب العرب والأعراب والمسلمين بإسهاب كما جاء في سورة الأعراف والأنفال ، ففي سورة الأنفال وحدها فصلت وبيّنت بعض أحداث غزوة بدر فجاءت تصوّرها للسامع حتى كأنها رأي العين ، فلقد انتهت المعركة بنصر المؤمنين وانهزام المشركين ، وحقق الله لرسوله وعده ، ونصر جنده ، وأعزّ دينه ، ولما كانت هذه أولى غزوات الرسول ﷺ فقد أسهبت السورة في تفصيل أحداث هذه الغزوة (٢) .

هناك أيضاً دليل آخر على أن الإيجاز لم يكن للعرب والأعراب فقط ، فقد جاء قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } (٣) . فأم القرى هي مكة وما حولها من سائر الناس (٤) وهم آنذاك فيهم اليهود والمشركين ، واليهود هم بنو إسرائيل .

^١ بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، مطبعة السعادة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢/٢٣٣-٢٣٤ .

^٢ محمد علي الصابوني ، قبس من نور القرآن الكريم ، ٣-٤ ، ١٤٥/٨ .

^٣ سورة الشورى : الآية (٧) .

^٤ أبو يحيى محمد بن صادق التحييبي ، مختصر تفسير الطبري ، دار الفجر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ص ٤٨٣ .

وهناك آيات وسور جاء فيها البسط والإطالة عند خطاب المؤمنين
ستعرض إليها إن شاء الله في باب الإطناب .

وفي الشعر والنثر جميعاً تقع البلاغة والعي والإيجاز والإسهاب ؛ إلا أن
البلاغة والإيجاز إذا وقعا في الشعر والقول قُضى للشاعر بالفُلج (١) .
والعين والإسهاب إذا وقعا في الشعر والقول كان الشاعر أعذر (٢) ، وكان
العذر عن المتكلم أضيّق ؛ وذلك لأن الشعر محصور بالوزن محصور بالقافية ،
فالكلام يضيّق على صاحبه . والنثر مطلق غير محصور فهو يتسع لقائله .
فما تساوي القول والشعر فيه من هذا الفن فحكم للشاعر فيه بالفضل
قول بعضهم في بعض كتب الفتوح (فكانت معاقله تعقله ، وما يُحرزه يُبرزه)
وقال الشاعر :

وإن بين حيطاناً عليه فأبماً *** أولئك عقلائته لا معاقله

وقد وصف بعضهم البلاغة فقال وقد سئل عنها : هي الاكتفاء في
مقامات الإيجاز بالإشارة ، والاقتدار في مواطن الإطالة على الغزارة .
وقال الشاعر في هذا المعنى :

يرمُون بالخطب الطوال وتارة *** وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال البرمكي : [إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان
الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً] (٣) .
قيل : [خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره] (٤) .

١ بالفُلج : الفلج : الظفر بمن تُخاصمُهُ ، الفُلج : الظفر (العين للفراهيدي) ، ص ٧٥٣ .

٢ أعذر : أعذر فلان ، أي أبلى عذراً فلا يلام . واعتذر إذ بلغ فيه : وأعذر إذا كثرت ذنوبه وعبوبه .
(كتاب العين للفراهيدي) ، ص ٦١٣ .

٣ أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ط ١ ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م ، ص ٦٥ - ٨٥ .

٤ المبرّد ، الكامل ، ج ١/٢ ، ص ٢٠ .

يقول الناس : [إجمال نعت الشيء واختصاره : عجب] (١) .

وقد كان جعفر بن يحيى يوقع (٢) في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل إنها كانت تُباع كل قصة منها بدينار (٣) .

وفي تفضيل الإيجاز يقول البرمكي لكتابه : [إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعاتٍ فافعلوا] .

وقال بعضهم : [الزيادة في الحدِّ نُقصان] . وقال محمد (م) الأمين عتيق : [عليكم بالإيجاز فإن له إفهاماً ، وللإطالة استبهاماً] .

وقال آخر : [إذا طال الكلامُ عرضت له أسبابُ التكلف ، ولا خير في شيء يأتي به التكلف] . وقد قيل لبعضهم : [ما البلاغة ؟] فقال : [الإيجاز] .

قيل : [وما الإيجاز ؟] قال : [حذفُ الفضول ، وتقريبُ البعيد] .

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول : [كفاك الله ما أهمك] فقال :

[هذه البلاغة] (٤) . وسمع آخر يقول : [عصمك الله من المكاره] . فقال :

^١ قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، ص ١٥٥ .

^٢ معنى التوقيع : هو من حطط الكتابة وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها مُتلقاً من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فيما أن تصدّر كذلك وإما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقّع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه [انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٧] .

^٣ مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، (د. ت) ، ١/٥٥٠ .

• لم أعتز عليه .

[هذه البلاغة] (*) وقوله ﷺ : (أوتيت جوامع الكلم) [أعطيت جوامع الكلم] (١) وقيل لبعضهم لِمَ لا تطيل الشُّعْرَ ؟ [فقال : لست أبيعُه مذارعة] .
وقيل للفرزدق (↔) : [ماصيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟]
فقال : [لأنِّي رأيتها في الصدور أوقع ، وفي المحافل أجول] (٢)
وقالت بنت الحطيئة لأبيها : [ما بالُ قصارك أكثرُ من طوالك ؟] فقال :
[لأنّها في الآذان أولج ، وبالأفواه أعلق] (∞) .
وقال أبو سفيان لابن الزبيري (*) : [قصرت في شعرك ؟] فقال :
[حَسْبُكَ من الشُّعْرُ غُرَّةٌ لائحة ، وسمة واضحة] . وقيل للنابغة الذبياني (•) :
ألا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر ؟ [فقال : [من أنتحل
انتقر] (Φ) وقيل لبعض المحدثين : [مالك لا تزيد على أربعة واثنين ؟] .

* لم أعثر عليه .

١ صحيح مسلم ج ١/٣٧٢ - ٣٧١ .

↔ الفرزدق شاعر عصره ، أبو فراس ، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري ،
سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٥٩٠/٤ .

٢ أجول : نحولت البلاد : وجولتها تجويلاً ، أي جُلْتُ فيها كثيراً ، بمعنى أكثر ، العين ، للفراهيدي ،
ص ١٦٤ .

∞ أعلق : من العلاقة ما تعلقت به في صناعة أو ضيعة أو معيشة معتمد عليه ومعلق الرجل : لسانه إذا
كان بليغاً ، وعلق بالشيء : نشب به ، العين ، للفراهيدي ، ٦٧٣-٦٧٤ .

* عبد الله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي ، أبو سعد : شاعر قرشي في الجاهلية ، كان شديداً
على المسلمين إلى أن فتحت مكة ، فهرب إلى نجران ، عاد إلى مكة أسلم واعتذر ، ومدح النبي (صلى الله
عليه وسلم) فأمر له بحلة ، الأعلام ، للزركلي ، ٨٧/٤ .

• النابغة الذبياني : هو زيادة بن معاوية ، ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع
بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، أحد أصحاب المعلقات السبع ، البداية والنهاية
لابن كثير ، ٢٠٤/١ .

Φ انتقر : رجلٌ نقار مُنْقَرٌ : يُنْقَرُ عن الأمور والأخبار ، ونَقَرَ باسم رجلٍ أي دَعَاهُ من بين أصحابه
خاصةً ، وانتقر أيضاً ، انظر كتاب العين ، للفراهيدي ، ص ٩٨١ .

قال : [هُنَّ بالقلوب أَوْقَع ، وإلى الحفظ أسرع ، وبالألسن أعلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أَبْلَغ وَأَوْجَز] .

وقيل لابن حازم : [ألا تطيل القصائد] فقال :

أبي لي أن أطيل الشعر قصدي	إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصر قريب	حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعة وستا	مثقفة بألفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا	وما حسن الصبا بأخي الشباب
وهن إذا وسمت بمن قوما	كأطواق الحمام في الرقاب
وكن إذا أقمت مسافرات	تهادها الرواة مع الركاب

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : [ما رأيتُ بليغاً قطّ

إلاّ وله في القول إيجاز ، وفي المعاني إطالة] .

وقيل لآخر : [ما فيك عيبٌ غير إنك كثير الكلام] قال : [فتسمعون صواباً أم خطأ] قالوا : [لا ، بل صواباً] قال : [فالزيادة من الخير خيرٌ] وليس كما قال ؛ لأنّ للكلام غاية ؛ ولنشاط السامعين نهاية ؛ وما بقي عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال ، وصار سبباً للملال ؛ فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل ، وهو معيب عند كل لبيب .

وقال بعضهم : [البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب] ،

وقال : (المكثّر كحاطب الليل) ، وقيل لبعضهم : [من أبلغ الناس؟] قال :

[من حلّى المعنى المزيز (*) باللفظ الوجيز ، وطبّق المفصل قبل التحزيز] ،

¹ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وصهره ، ومن أكابر الخطباء والعلماء ، كان نقش خاتمه الله الملك ، انظر الأعلام ، للزركلي ، ٢٩٥/٤ .

* المزيز : الفاضل ، والميزّ : الفضل .

وقوله : [وطبّق المفصّل قبل التحزير] مأخوذ من كلام معاوية رضي الله عنه وهو قوله لعمر بن العاص (١) لما أقبل أبو موسى : [يا عمرو إنّه قد ضمّ إليك رجل طويل اللسان ، قصيرُ الرأي والعرفان ؛ فأقلل الحزُّ ، وطبّق المفصّل ، ولا تلقه بكلّ رأيك] . فقال : عمرو : [أكثر من الطعام ، وما بطن قومٌ إلاّ فقدوا بعضَ عقولهم] (٢) .

إلاّ أنّي لا أشكُّ على حالٍ أنّ النفوسَ إذا كانت إلى الطرائف أحنّ ، بالبنوادر أشغف ، وإلى قصار الأحاديث أميل ، وبها أصبّ . أنّها خليقةٌ لاستئصال الكثير ، وإن استحقت تلك المعاني الكثيرة ، وإن كان ذلك الطويل أنفع وذلك الكثير أردّ (*) (٣) .

أكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل - الإيجاز - كقصة موسى عليه السلام في سورة طه ، فإنّ معانيها أتت بالألفاظ الحقيقية تامة غير محذوفة ، وهي مستوعبة في تلك في تلك الألفاظ . وقد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى في اقتصاصه قصة السمؤال في أدرع امرئ القيس (٤) الشاعر التي أودعها عنده لما قصد قيصر ، ووفاء السمؤال بها ، حتى سلّمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشاهده ، وهي من البسيط :

^١ عمرو بن العاص بن وائل الإمام أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد السّهمي ، قالوا توفي ليلة عيد الفطر قبل سنة ثلاث وأربعين ، وقيل : سنة اثنتين ، وقيل سنة ثلاث وله نحو مئة سنة ، وقيل سنة تسع وتسعون روي أنّه ما بلغ التسعين (رضى الله عنه) ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٧٧-٥٤/٣ .

^٢ العسكري ، الصناعتين ، ١٩٣-١٩٥ .

* هذا الأمر أرد عليه أيّ أنفع له .

^٣ الجاحظ ، الحيوان ، ج٦/٨-٩ .

^٤ امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث بن معاوية بن كندة ، انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ٢١٨/١ ، وتاريخ الطبري ، ٣٩١/٣ .

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ *** فِي جَحْفَلِ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ
بِالْأَبْلَقِ الْعَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ *** حِصْنُ حَصِينٍ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَارٍ

إلى أن قال :

وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ *** وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِي (١)

فانظر كيف أغني الأعرشى عن تحفظ القصّة بطولها من يريد حفظها بهذه الأبيات التي استوعبها فيها مع ما انطوت عليه ألفاظها التي خرجت كلها مخرج الحقيقة من المدح للسموأل بالوفاء ، ولابنه بالصبر على البلاء ، والتحريض للممدوح على التخلُّق بمثل هذا الخلق ، ليبقى له مثل هذا الذكر (٢) .

فالإيجاز ليس بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب ، بل لكل مقام مقال ، ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرّده الله تعالى في القرآن ، ولم يرد ذلك في الذكر الحكيم ، ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للإيجاز ، وكرّر تارة للإفهام وعلّل هذا مستقصاً في كتابنا المؤلف في (تأويل مُشكِلِ القرآن) وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض (٣) على حرب أو حمالة (٤) بدم أو صلح بين عشائر (٥) أن يُقلّل الكلام ويختصره ، ولا لمن كتب إلى عامّة كتاباً في فتح أو استصلاح أن يُوجز . ولو كتب كاتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية

^١ ديوان الأعرشى الكبير ميمون بن قيس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٢م، ٢٢٩-٢٣١ .

^٢ ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، ٤٥٩-٤٦١ .

^٣ التحضيض والحض : الإغراء بالشيء والترغيب فيه .

^٤ الحمالة بفتح الحاء : الكفالة ، والحميل : الكفيل وزناً ومعنى .

^٥ العشائر : جمع عشيرة . عشائر : عشيرك الذي يعاشرك ، أمركما واحد ، سميت عشيرة الرجل لمعاشرته بعضهم بعضاً ، والزوج عشير المرأة ، والمرأة عشيرة الرجل ، ١ ، ٢ ، ٣ ، من كتاب العين ، للفراهيدي ، ٦٣٩ .

كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته : [أمّا بعد
فإني أراك تقدّم رجلاً وتؤخرُ أخرى ، فاعتمد على آيتهما شئت ، والسلام] ،
لم يعمل هذا الكلام في أنفسها عملاً في نفس مروان ، ولكن الصواب أن
يطيل ويكرّر ، ويُعيد ويُبدئ ، ويُحذّر ويُنذر (١) .

فالإيجاز من أعظم قواعد البلاغة ، ومن مهمات علومها ، ومواقعه في
القرآن أكثر من أن تحصى (٢) . واعلم أن جماعة من مدّعي علم البيان ذهبوا
إلى أن الكلام ينقسم إلى قسمين : فمنه ما يحسن فيه الإيجاز ، ومنه ما يحسن
فيه التطويل مثل كتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس ؛ فإنّ الكلام
إذا طال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ، ولو اقتصر فيه على الإيجاز
والإشارة لم يقع لأكثرهم نفع حتى يقال في ذكر الحرب : (التقى الجمعان ،
وتطاعن الفريقان ، واشتد القتال ، وحمي النضال ، وما جرى هذا المجرى .

والمذهب عندي في ذلك ما أذكره ، وهو أن فهم العامة ليس شرطاً
معتبراً في اختيار الكلام ؛ لأنّه لو كان شرطاً لوجب على قياسه أن يستعمل
في الكلام الألفاظ العامية المبتذلة عندهم ؛ ليكون ذلك أقرب إلى فهمهم ؛
لأنّ العلة في اختيار المبتذل من الكلام ؛ فإنه لا خلاف في أنّ العامة إلى فهمه
أقرب من فهم ما يقل ابتداهم إيّاه ، وهذا شيء مدفوع .

وأما الذي يجب توخيّه واعتماده فهو أن يُسلّك المذهب القويم في
تركيب الألفاظ على المعاني ، بحيث لا تزيد هذه على تلك ، مع الإيضاح
والإبانة ، وليس على مُستعمل ذلك أن يفهم كلامه (٣) ، فإنه لا عبرة بهم
ولا اعتداد بأحوالهم ولا يضر الكلام الفصيح عدم فهمهم لمعناه ، ولهذا فإن

^١ ابن قتيبة ، آداب الكاتب ، ١٦/٥ .

^٢ العلوي ، الطراز ، ٨٩/٢ .

^٣ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٦٩/٢-٧٠ .

نور الشمس إذا لم يره الأعمى لا يكون نقصاً في وضوحه وجلائه ، وإنما النقص في بصر الأعمى حيث لم يدركه ، ولهذا فإن القرآن الكريم لم يخاطب بفهم معانيه إلا الأذكياء ، وأعرض عن البله من العوام وشبههم في العمى والبلادة بالأنعام حيث قال : { أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (٠) .

أرى العلوي قد أخطأ فقد جاءت آيات بالتطويل مثل قوله تعالى : { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٢) و { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٣) شرحها لم يكن للأذكياء فقط ، بل للعبرة والاعتاظ لعامة الخلق . وهذا القرآن لم يأت لفرد دون آخر أو لأمة معينة في هذا الزمان ؛ فإنه أنزل على خاتم النبيين والمرسلين وختم به الرسالات جميعها وما خص به أحد دون آخر والدليل على ذلك قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٤) و { وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (٥) { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (٦) فالذكر هنا معروف وهو القرآن الكريم ، وكذلك العالمين ، والناس تشمل كافة البشرية والخلق . [ويراجع لذلك أسباب التطويل في القرآن الكريم] .

أعلم أن مدار الإيجاز على الحذف ؛ لأن موضوعه على الاختصار ، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يُخِلُّ بالمعنى ، ولا ينقص من البلاغة ، بل أقول

^١ سورة الأعراف الآية (١٧٩) .

^٠ العلوي : الطراز ، ٩٠/٢ - ٩١ .

^٢ سورة الأعراف : الآية (٣٢) .

^٣ سورة يونس : الآية (٢٤) .

^٤ سورة سبأ : الآية (٢٨) .

^٥ سورة القلم : (٥٢) .

^٦ سورة ص : الآية (٨٧) .

ولو ظهر المحذوف لَنَزَلَ قَدْرُ الكَلَامِ عن علو بلاغته ، ولصار إلى شيء مُسْتَرَكٍّ (*) مُسْتَرْدَلٍ (°) ، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاقة والحسن والرِّقَّة والبهاء ، ولا بد من الدَّلالة على ذلك المحذوف ، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث ، ولا يجوز الاعتماد عليه (١) .

متى عظم محل الشيء فقد يكون الإسهاب فيه عيباً ، والإكثار في وصفه تقصيراً ، قال الحكيم عندما سئل عن البليغ : [متى يكون عيباً ؟] فقال : [متى وصف هوىً أو حبيباً] ... وضلَّ أعرابي في سفر له ليلاً ، وطلع القمر فاهتدى به ، فقال : [ما أقول لك ؟] أقول : [رفعك الله ؟ وقد رفعك] أم أقول : [نورك الله وقد نورك] أم أقول : [جملك الله ؟ وقد جملك !] .

ولو لا أنَّ العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل لم نحتاج إلى ما تكلفنا ، ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب خفية ، وتعلقه بعلوم غامضة الغور ، عميقة القعر ، كثيرة المذاهب ، قليلة الطلاب ، ضعيفة الأصحاب . وبحسب تأتي مواقعه تقع الأفهام دونه ، وعلى قدر لطف مسالِكِهِ يكون القصورُ عنه .

أنشدني أبو القاسم الزعفراني ، قال : أنشدني المتنبي (•) لنفسه القطعة

التي يقول فيها :

* مسترك : رك : الرُّكُّ : مصدر الركيك أي القليل ، ورجل ركيك العلم أي قليله ، ص ٣٦٥ .

° مستردل : رذل : الرَّذُلُ : الدُّون من كل شيء ، وثوب رذيل أي ردى ، العين للفريدي ، ص ٣٦٥ -

. ٣٤٦

١ العلوي ، الطراز ، ٩٢/٢ .

• المتنبي : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الحكيم ، واحد مفاخر الأدب العربي ، ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته ، ونشأ =

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا *** وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ (١٤)
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ *** عَلَى قَدْرِ الْقَرَّاحِ وَالْعُلُومِ

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال : أنشدنا بعض مشايخنا للبحثري :

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي وَسْنٍ *** فِي الْجَهْلِ لَوْ ضُرِبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
عَلَيَّ نَعْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا *** وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقْرُ (١٥) (١)

والإتجاه العام عند نقاد العرب أنهم يفضلون الإيجاز ، ويعنون به : جمع الكثير من المعنى في قليل من المنطق . ولذا كان البيت الذي يحوي معنيين أفضل من هذا الذي يحوي معنى واحداً . ولكن التُّقَاد مع ذلك يرون للإيجاز مواضعه وللإطناب مواضعه (٢) ومرجعك في إدراك أسرار البلاغة إلى الذُّوق الأدبي والإحساس الروحي ، فالحاجة إلى كُـلِّ من الإطناب والإيجاز ماسّة : وكل موضع لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه . وللذوق السليم : القول الفصل في موطن كُـلِّ منهما (٣) .

إذا أردنا الحديث عن دواعي الإيجاز ومواقع استعماله فإننا نجد السكاكي يقول عن موضعه : [للاختصار والتطويل مقامات قد أرشدت بها

= بالشام ، قتله فاتك بن أبي جهل الأسدي ، وقتل معه ابنه وعلامة بالطريق بالعمانية ، بالجانب الغربي من سواد بغداد ، انظر الأعلام للزركلي ، ط ٦ ، ١/١١٥ .

١٤ ديوان أبي الطيب المتنبي ، ٤/١٢٠ ، بشرح أبي البقاء العكبري .

١٥ ديوان البحثري ٢/٣٠٨ ، وفي بعض الروايات : وما عَلَيَّ إذا لم تفهم البقر

وفي رواية : أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي سِنَةٍ *** لَوْ أَتَهُمْ ضُرِبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
عَلَيَّ نَعْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا *** وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقْرُ

١ الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، ٢٩٩-٣٠٠ .

٢ أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، نَهْضَةُ مِصْرَ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ (د . ت) ، ٤٩٤-٤٩٥ .

٣ السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ٢٣٤ .

إلى مناسباتها ، فما صادف من ذلك موقعه حُمد وإلا ذُم ، وسُمِّي الإيجاز إذ ذاك : عيًّا وتقصيراً ، والإطناب : إكثاراً وتطويلاً^(١) .

ومن الناس من يقول : [إنَّ من الكلام ما يحسن فيه الاختصار والإيجاز كأكثر المكاتبات والمخاطبات والأشعار ، ومنه ما يحسن فيه الإسهاب والإطالة ، كالخطب والكتب التي يحتاج أن يفهمها عوامُ الناس وأصحاب الأذهان البعيدة] .

وروي عن المأمون^(٢) أنه أمر عمرو^(٣) بن مسعدة أن يكتب لرجل يعنى به إلى بعض العمال ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد ، فكتب إليه عمرو بن مسعدة : كتابي إليك كتابٌ واثق بمن كتبتُ إليه ، معنيّ بمن كتبتُ له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله^(٤) .

وجاء في جواهر البلاغة القول : [يستحسن الإيجاز في الاستعطاف ، وشكوى الحال ، والاعتذارات والتعزية ، والعتاب ، والوعد والوعيد ، والتوبيخ ورسائل طلب الخراج وجباية الأموال ، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة والأوامر والنواهي الملكية ، والشكر على النعم وكذلك جاء في علوم البلاغة]^(٥) .

^١ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٢٧٧ .

^٢ المأمون : الخليفة ، أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي ، ولد سنة سبعين ومئة ، دعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ ، نسأل الله السلامة ، مات في رجب في ثاني عشرة ، سنة ثمان عشرة ومئتين ، وله ثمان وأربعون سنة ، توفي بالبذندون ، فنقله ابنه العباس ودفنه بطرسوس في دار خاقان خادم أبيه ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٢٧٢/١٠-٢٨٩ .

^٣ عمرو بن مسعدة بن سعد بن صُول ، العلامة البلّغ ، أبو الفضل ، كان موقَّعاً بين يدي جعفر البرمكي ، يقال توفي سنة سبع عشرة ومئتين ، وقيل سنة خمس عشرة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ١٨١/١٠-١٨٢ .

^٤ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ٢٠٥-٢١٢ .

^٥ السيد أحمد الهاشمي بك ، جواهر البلاغة ، ٢٢٦ .

قد عَرَفَتَ الإيجاز وموضعه فعليك أن تعرف دواعيه التي استعملتها
العرب في كلامها ، فمن دواعي الإيجاز :

أ. سهولة الحفظ ؛ فقد قيل لأحدهم : [هل كانت العرب تطيل ؟] قال :
[نعم ، كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها] .

ب. إخفاء الأمر عن غير المخاطب .

ج. ضيق المقام خوف فوات الفرصة .

د. ذكاء المخاطب ، حيث تكفيه اللمحة والوحي والإشارة (١) وزاد
عليها صاحب جواهر البلاغة : الضجر والسامة ، وتقريب الفهم وتحصيل
المعنى الكثير باللفظ اليسير ... الخ (٢) .

أما قدامة فإنه يقول : (فأما المواضع التي ينبغي أن يُستعمل كلُّ واحد
منها فيه ، فإنَّ الإيجاز يكون في مخاطبة الخاصَّة وذوي الأفهام الثاقبة الذين
يجتزئون بيسير القول عن كثيره ويُحمّله عن تفسيره ، وفي المواعظ والسنن
والوصايا التي يُراد حفظها ونقلها ، ولذلك لا ترى في الحديث عن الرسول
ﷺ والأئمة شيئا يطول ، وإنما يأتي على غاية الاقتصار والاختصار ، وفي
الجوامع التي تُعرض على الرؤساء فيقفون على معانيها ولا يُشغلون بالإكثار
فيها . فالإيجاز استعمل لذوي العقول والأبصار ، ومن ذلك خطبة النبي ﷺ
وهي أن قال بعد حمد الله والثناء عليه : (أيتها الناس ، كأنَّ الموت فيها على
غيرنا كُتِبَ ، كأنَّ الحقَّ فيها على غيرنا وجِبَ ، وكأنَّ الذي نُشيعُ من الأموات سَفَرٌ
عما قليل راجعون ، نبوتهم أجدائهم ، ونأكل تراثهم ، كأننا مُنخلدون بعدهم ،
نسينا كلَّ واعظةٍ وأمنا كلَّ جائحةٍ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن
أنفق مالا اكتسبه من غير معصية الله ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل

١ أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ٢٠٠-٢٠١ .

٢ مرجع رقم (٢) ، ص ٢٢٦ .

الذلة والمسكنة ، طوبى لمن ذلت نفسه ، وحسنت خليفته ، وصلحت سريرته ،
وعزّل الناس عن شرّه ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ،
ووسعته السنّة ، ولم تستهوه البدعة) (١) .

وممن برع في المعنيين من الإيجاز والإطالة وتقدّم الناس جميعاً في ذلك
كتقدّمه في سائر فضائله ، أمير المؤمنين عليه السلام عليّ رضي الله عنه ، وله من
الخطب الطوال المشهورة : الزهراء ، والغراء ، والبيضاء وغيرهنّ ممّا قد حمّل
عنه ونُقِل إلينا من قوله .

رُوي أنّ عمّاراً ^(٢) رحمه الله ... تكلم يوماً فأوجز ، فقليل له :
[لو زدتنا!] فقال : [أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله باختصار الخطب] ، ومن ذلك
وصيته صلى الله عليه وآله لجرير بن عبد الله البجلي [يا جرير إذا قلت فأوجز وإذا بلغت
حاجتك فلا تتكلف] ولهذا المعنى قال اعر الخوارج : ^(٣) .

^١ أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ،
١٩٨٠م ، ٢٠٣/٣ ، وفيها نقص .

^٢ عمّاراً : عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الودع ، أمه سمية مولاة بني مخزوم ،
من كبار الصحابيّات ، قتل في صيفين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، قال أبو عاصم :
عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٤٠٦/١ - ٤٢٦ .

^٣ شاعر الخوارج الصلت بن مروة .

كُنَّا أَنْسَاءَ عَلَى دِينٍ فَفَرَّقْنَا *** قَدَحَ الْكَلَامِ وَخَلَطَ الْجِدَّ وَاللَّعِبَ
 مَا كَانَ أَغْنَى رِجَالًا ضَلَّ سَعِيهِمْ *** عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ (*)
 وَمِمَّنْ اسْتَعْمَلَ فِي قَوْلِهِ وَكُتِبَ الْإِيجَازُ وَالِاخْتِصَارُ مِنَ الْقَدَمَاءِ لِيَهْوُونَ
 بِذَلِكَ حَفِظَ كُتِبَهُ عَلَى مَنْ يَرِيدُ حَفِظَهَا وَيَقْرَبُ عَلَى نَاقِلِ كُتِبِهِ وَأَقْوَالِهِ .
 نَقَلَهَا أَرِسْطَالِيْسُ (*) وَإِقْلِيدِسُ (•) ؛ فَإِنَّمَا لَمْ يَأْتِيَا فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِمَا
 بِمَا يَتَهَيَّأُ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ ، أَوْ يَأْتِيَا بِمَعْنَاهُمَا بِأَقْلٍ مِنْ لَفْظِهِمَا (١) .
 تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي حَاجَةِ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (⇔) ، وَكَانَتْ حَاجَتُهُ
 فِي قَضَائِهَا مَشَقَّةً ، فَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ مُوجِزٍ ، وَتَأْتَتْ لَهَا ، فَقَالَ عَمْرٌ :

* والرواية الأخرى :

كُنَّا أَنْسَاءَ عَلَى دِينٍ فَفَرَّقْنَا *** طُولُ الْجِدَالِ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِاللَّعِبِ
 مَا كَانَ أَغْنَى رِجَالًا ضَلَّ سَعِيهِمْ *** عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ

انظر الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، ٢٨٧/١ .

* أرسطاليس : من أدباء العصر الذهبي أو الأثيني ، سنة ٥٠٠-٣٢٣ ق م ، ومن الفلاسفة ، انظر تاريخ

آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، دار الهلال ، ١٩٥٧ م ، ٢٥/١ .

• إقليدس : من العصر الإسكندري ، ٣٢٣-١٤٦ ق م ، سُمِّيَ بالعصر الإسكندري ؛ لأن العلم انتقل
 من أثينا إلى الإسكندرية على عهد البطالسة ، ومن مشاهيره في الرياضيات ، وإقليدس من مشاهير العصر
 الإسكندري في الرياضيات ، انظر آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان .

١ قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ٨٥-٨٦ ، ٩١ .

⇔ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الإمام الحافظ ، العلامة ، المجتهد ،
 العابد ، السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص ، الخليفة الراشد الزاهد أشجُّ بني أمية ، من الخلفاء الراشدين
 رحمه الله ومن تابعي المدينة ، وُلِدَ سنة ثلاث وستين ، وفي موته أقوال ، كانت خلافته سنتين وخمسة
 أشهر وأياماً ، انظر سير النبلاء للذهبي ، ١١٤/٥-١٤٥ .

[والله إن هذا لَلسَّحَرُ الحلال] (١) . وقيل لعبد الله بن عمر (Φ) :
[لو دعوت الله لنا بدعوات ؟] فقال : [اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا !]
فقال له رجلٌ : [لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن] فقال : [نعوذ بالله من
الإسهاب] (٢) .

وخير ختام في موضع الإيجاز قول خير الأنام وفعله فقد كان الإيجاز في
هدية ﷺ بعد الكلام في الصلاة أيضاً فعن أنس (⇔) رضي الله عنه قال : [كان
النبي ﷺ يُوجزُ الصلاة ويكملها] أي : كان يُخفف الصلاة ويأتي بها على
الوجه الأكمل (٣) .

اختلف العلماء في كون الإيجاز أوسيلة هو أم غاية ؟ أهتم به كانت
العرب أم تملمه ؟ وفي ذلك خلاف ، فقد ذكر بعض الفضلاء من المحدثين (*)
أن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم معرفة بالقراءة والكتابة ، ولم يكن لهم من
وسائل الحفظ إلا ما منحوه من ذاكرة ، وصفاء ذهن وقوة حافظة ، لذلك

^١ الجاحظ البيان والتبيين ، ١/٣٥٠ .

Φ عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أسلم وهو صغير
ثم هاجر مع أبيه ولم يتعلم ، أول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وأمه أم المؤمنين حفصة ،
زينب بنت مطعون ، روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن أبيه وأبي بكر ، انظر
سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٣/٢٠٣-٢٠٤ .

^٢ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٩٧١ .

⇔ أنس بن مالك بن النضر ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عدي بن النجار الإمام ، المفتي ،
المقري ، المحدث ، راوية الإسلام ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني ، خادم رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) ، وقرابته من النساء وتلميذه وتبعه وآخر أصحابه موتاً ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ،
٣/٣٩٥-٤٠٦ .

^٣ الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي ، مختصر صحيح البخاري ، دار النفائس ، ط ٤ ،
١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ١/٢-١٠٨ .

* عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٨٨ .

كانوا مضطرين إلى اختصار القول ؛ لأن الشيء إذا كثر صُعب استيعابه ، فكانوا مضطرين إلى أسلوب الإيجاز حتى يعوا ما يريدون وعيه ، ولكي لا تكل ذاكرتهم ، ولا تمل حافظتهم .

كان الأمر قريباً من ذلك في العصر الإسلامي ، فكان الإيجاز فيه وسيلة كذلك ، ولما تغيرت الحال وتبدل الأمر ، وصار للقوم علم وفلسفة وكتب ودواوين ، غدا الإيجاز غاية لا وسيلة ، ومع تقديرنا وإجلالنا ، ومع أن هذا التعليل يبدو لأول وهلة منطقياً متسقاً مع طبيعة الأشياء ، إلا أننا إذا أمعنا النظر نجد الأمر على عكس ذلك فالعربية أولاً : لغة : الإيجاز هو من صميم طبيعتها ومن صلب ذاتياتها ، فقد تعبر عن الكلمات الكثيرة بالعبارة القصيرة ، فقولك (أعطيتك) تتكون من كلمات أربع : فعل وفاعل ومفعولين وهذا لا يتسنى في أيّ لغة من اللغات . ثم إن الحافظة والذاكرة عند أولئك كان ينميها ويعينها عليها عوامل كثيرة ؛ بيئتهم الطبيعية من جهة ، وبيئتهم الاجتماعية من جهة أخرى ، وينبثق عنهما أسباب كثيرة ، فعدم التعقيد في العيش ، ورواج الصناعة الكلامية ، وكونها هي البضاعة الرائجة ، وعدم معرفتهم بالقراءة والكتابة إلى غير ما هنالك من أسباب من شأنها أن تعمل على تنمية هذه الحافظة ، واستيعاب تلك الذاكرة ، لذا قرأنا لهم القصائد الطوال ، ومع هذا كان الإيجاز فيهم أمراً محموداً ينتزع من أعطيه إعجاب الآخرين به .

وأكرم الله العرب وغيرهم بالإسلام ، ونزل القرآن الكريم وفيه من الإيجاز ما لا يوجد في غيره ، وفُضِّل النبي ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأمر منها أنه (أعطي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً) ،

فكان يعبر عن المعاني الكثيرة بكلمات قليلة ، بل أثني على الذين يتكلمون فيوجزون (١) .

الإيجاز غاية إذن دائماً إذا كان يستدعيها المقام وتتطلبه أوضاع المخاطبين ، فقد عرفنا أن عمود البلاغة بعامة ، وعلم المعاني بخاصة ، هو [لكل مقام مقال] فقد يتطلب المقام الشرح والتفصيل ، فيكون أمراً لا مندوحة عنه (٢) .

الإيجاز في حد ذاته أمر محمود مرغوب فيه ، ولم يكن في يوم وسيلة من الوسائل ، ولم تحتتمه ظروف ، وإنما هو غاية ؛ ذلك لأن المعنى هو المقصود فإذا أمكن تأدية المعنى بلفظ قليل ، ففي ذلك خير للمتكلم والمخاطب على السواء (٣) .

^١ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ٤٥٥-٤٥٦ .

^٢ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ٢٥١ .

^٣ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ٤٥٦ .

الفصل الثالث أقسام الإيجاز

ينقسم لقسمين ، إيجاز قَصْرٌ أو قِصْرٌ وإيجاز حذف (١) . وقال آخر :
إيجاز بالحذف وآخر ما لا يحذف منه شيء (٢) وهناك جماعة منهم (ابن الأثير) قسموا إيجاز غير الحذف قسمين : إيجاز تقدير : وهو ما ساوى لفظه معناه من غير زيادة وهذه المساواة ، وإيجاز قصر : وهو ما يزيد معناه على لفظه . لكن الأشهر بين أئمة الفن أن المساواة ليست من إيجاز غير الحذف لكنها واسطة بين الإيجاز والإطناب (٣) .

فأول ما أبدأ به هو إيجاز الحذف ؛ فقد وجدت أغلب الكتب بدأت به ؛ لمكانته وجماله وطغيانه على حسب ظني .

الحذف لغة : (ح ذ ف) : (حَذَفَهُ) أَسْقَطَهُ . ومن وشَعَرَهُ : أَخَذَهُ .
وبالعَصَا : رَمَاهُ بِهَا وفي مِشِيَّتِهِ : حَرَّكَ جَنْبَهُ وَعَجَزَهُ ، أو تَدَانَى خَطْوُهُ .
وفلاناً بِجَائِزَةٍ : وَصَلَهُ بِهَا . والسلامَ : خَفَّفَهُ ولم يُطِلِ القولَ به . وكَكُنْأَسَةٍ :
ما حَذَفْتَهُ من الأديم وغيره . المحذوفُ : الزَّقُّ وفي العَرُوضِ : ما سَقَطَ من آخره سببٌ خفيفٌ (٤) .

(حَذَفَ) الشيء ز حَذَفًا قطعهُ من طرفه وأسقطه . وبالعصا ونحوها :
رماه وضربه بها . (الحُدَافَةُ) : ما حُذِفَ فطرح . و : الشيء القليل .

^١ الخطيب القزويني ، التخليص ، ص ٢١٤ ، الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ط ٥ ، ص ٢٦٢ ، جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج ١-٢/٧٠ ، دار المعرفة (د. ت) ، محمد طاهر صاحب الفنج فيري ، العرفان في أصول القرآن ، دار القرآن ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ١٥٨ .

^٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، المكتبة العصرية ، ٧٤/٢ .

^٣ مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ١٨٢ .

^٤ الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ، ط ٣ ، دار الفكر (د. ت) ، ٦٠٧/١ .

(الْحَذْفُ) . أُذُنٌ حَذْفَاءٌ : صغيرةٌ كأنَّها قُطِعَتْ . (الْحَذْفُ) القطعةُ

المحذوفة من الثوب ونحوه (١) .

أما اصطلاحاً : فإنَّ العرب تستعمله للإيجاز والاختصار ، والاكتفاء

ببسيير القول إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه ؛ وذلك كقوله عزَّ وجلَّ :

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (٢) وسكت

عن تمام الكلام لعلم المخاطب به ، فكان تقدير ذلك : [وإذا قيل لهم اتقوا

ما بين أيديكم وما خلفكم استكبروا وعتوا] (٣) .

فالحذف : الإسقاط للتخفيف ، كقوله تعالى : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } (٤)

والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأنَّ النفس تذهب كل مذهب في القصد من

الجواب (٥) .

أما عن تقسيمه قال (صاحب العمدة) : (٦) [الإيجاز عند (الرُّمَّانِي)

على ضربين : مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، كقولك :

(سل أهل القرية) وضرب آخر يسمونه (الاكتفاء) : وفيه يحذفون بعض

الكلام لدلالة الباقي على الذاهب ، كقولهم : (لو رأيت علياً بين الصفين) ،

أي : (لرأيت أمراً عظيماً) . ويُعلِّق (ابن رشيق) على هذا الضرب من الإيجاز

بقوله : (وإنَّما كان معدوداً من أنواع البلاغة ، لأنَّ نفس السامع تتسع في

الظن والحساب ، وكل معلوم فهو هين لكونه محصوراً] .

١ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، ص ١٤١ .

٢ سورة يس : الآية (٤٥) .

٣ قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، المكتبة العلمية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٦٩ .

٤ سورة يوسف : الآية (٨٢) .

٥ الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ٢٦٢ .

٦ ابن رشيق القيرواني .

أما الإيجاز بالحذف عنده فهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه ، ويعرفه البلاغيون بقولهم : (هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعين المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه (١) .

ويُعرفه (ابن الأثير) بقوله : [هو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه ، ويتنبه لهذا القسم من غير كبير كلفة في استخراجِه ؛ لمكان المحذوف منه (٢) ، إن الإيجاز بالحذف أقوى دليلاً على زيادة المعاني] .

وقيل : [ما قصد فيه إلى إكثار المعنى مع حذف شيء من التركيب] (٣) . إن الإيجاز بالحذف أقوى دليلاً على زيادة المعاني على الألفاظ ؛ لأننا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه ، وفهم ذلك المعنى ضرورة لابد منه ، فعلمنا حينئذٍ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالة عليه . وكذلك كل ما يعلم من المعاني بمفهوم الخطاب ؛ ألا ترى أنك إذا قلت لمن دخل عليك (أهلاً وسهلاً) ؛ إلا أن لفظي وجدت ولقيت محذوفتان ، والمعنى الذي دللاً عليه باقٍ ، فصار المعنى حينئذٍ مفهوماً مع حذفهما فهو إذاً زائداً لا محالة ، وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتشعب مقاصدها ، وهذا لا نزاع فيه ، لبيانه ووضوحه .

أمّا عن زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات فإننا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة ، واللفظ واحد والمعاني التي تحته متعددة .

^١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٩ .

^٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٧٤/٢ .

^٣ محمد محمود شاهين ، فنون البلاغة ، (د. ن) ، (د. ت) .

فأما الذي يدل على معنيين فالكنايات جميعها (١) ، وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات كثيرة قلّت حروفها ولعلها كثرة معانيها وظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ } (٢) ومن ذلك في السنة كثير كقوله ﷺ [الأعمال بالنيات] ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته وشهرته أغنت عن ذكره (٣) .

الحذف على وجهين :

أحدهما : ألا يقام شيء مقام المحذوف .

والثاني : أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } (٤) ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم والتقدير فإن تولوا فلا لوم عليّ ؛ لأني قد أبلغتكم أو فلا عذر لكم عند ربكم لأني قد أبلغتكم .

أدلة الحذف كثيرة منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ } (٥) وقوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ } (٦) فإن العقل يدل على الحذف لما مرّ والمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير حرم عليكم تناول

١ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٧٤-٧٦ .

٢ سورة الأنفال : الآية (٥٨) .

٣ ابن القيم إمام الجوزية ، الفوائد المشرق إلى علوم القرآن ، دار الكتب العلمية (د. ت) ، ٦٩ .

٤ سورة هود : الآية (٥٧) .

٥ سورة المائدة : الآية (٣) .

٦ سورة النساء : الآية (٢٣) .

الميتة وحرّم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهنّ ، ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين كقوله تعالى : { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } (١) أيّ : أمر ربك أو عذابه أو بأسه . ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ } (٢) دلّ على الحذف فيه ؛ لأنّ الإنسان إنّما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير في حبه لقوله تعالى : { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } (٣) وأن يكون في مرادته لقوله تعالى : { تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ } (٤) وأن يكون في شأنه وأمره فيشملهما والعادة دلّت على التعيين المرادة ؛ لأنّ الحب المفرط لا يُلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته إيّاه وإنّما يلام على المرادة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه ، ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى : { لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ } (٥) مع أنّهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها ، فلا بُدّ من حذف قدره (مجاهد) (*) رحمه الله مكان قتال أيّ : أنّكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدل عليه إنهم أشاروا على الرسول ﷺ ألاّ يخرج من المدينة وأنّ الحزم البقاء فيها ، ومنها في الفعل كقول المؤمن : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

١ سورة الفجر : الآية (٢٢) .

٢ سورة يوسف : الآية (٣٢) .

٣ سورة يوسف : الآية (٣٠) .

٤ سورة يوسف : الآية (٣٠) .

٥ سورة آل عمران : الآية (١٦٧) .

* مجاهد بن جبر الإمام ، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكيّ ، المقرئ ، المفسّر ، الحافظ ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، أحد أوعية العلم ، توفي سنة ثلاثٍ ومئةٍ ، وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة ، طبقات علماء الحديث ، للدمشقي الصلحي ، ١٦٣/١ .

كما إذا قلت عند الشروع في القراءة : (بِسْمِ اللَّهِ) فإنه يفيد أن المراد (بِسْمِ اللَّهِ) أقرأ ، وكذا عند الشروع في القيام والقعود أو أي فعل كان ، فإن المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له ، ومنها اقتران الكلام بالفعل فإنه يفيد تقديره كقولك لمن أعرس : [بالرفاء والبنين] فإنه يفيد بالرفاء والبنين أعرست : (١) ، مع العلم بأنها ليست مباركة المسلمين عند تهنئتهم بالزواج فالسنة أن تقول لمن أعرس : [بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير] (٢) .

وقال بعض المفسرين : إن اسم في قول الله عز وجل { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } زائد واستدلوا بقول لييد بن ربيعة العامري :
إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا *** وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ (٣)
أي السلام عليكما ، وإليه ذهب أبو عبيدة والأخفش وقطرب .
اسم : تعد مقحمة هنا ، وقيل : السلام هو الله (٤) .

ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن ؛ وقد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا : وسهلاً ، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف ، وليس هذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالإعراب وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى ، كقولنا : [فلان يحل ويعد] ؛ فإن ذلك لا يظهر

^١ الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ١٩٣-١٩٦ .

^٢ سنن أبي داود ، باب ٣٧ ، حديث رقم ٢١٣٠ ، ٥٩٩/٢ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت .

^٣ ديوان لييد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ، ٧٩ .

^٤ ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة محمد بن المثني مفقود ، ١٦/١ ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، دار القلم دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ١٧/١-١٨ .

المحذوف فيه بالإعراب ، وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى : أي أنه يحلّ الأمور ويعقدها ، والذي يظهر بالإعراب يقع في المفردات من المحذوفات كثيراً ، والذي لا يظهر بالإعراب يقع في الجمل المحذوفات كثيراً^(١) .

ينقسم إيجاز الحذف لقسمين : حذف المفرد (اسم ، فعل ، حرف) وحذف الجملة (مفيدة غير مفيدة) فمن الأمثلة : حذف الاسم : حذف المبتدأ (يشيع في التنزيل وقراءاته كثيرة ، ولعل ما في سورة البقرة من مواطن حُذِفَ فيها في تأويلات النحويين في مؤلفاتهم شرحاً واستقصاءً ، فجاء حديثهم موجزاً مختصراً ، ولقد قمت باستقصاء ما في مؤلفاتهم فوجدتها تدور في الأفلاك التالية : حذفه في جواب الاستفهام ، وحذفه بعد فاء الجزاء ، وبعد القول وبعد إذا الفجائية وبعد ما الخبر صفة له في المعنى ، فوجدت أن حذفه مواضع كثيرة منها ما هو مجمع عليه تقريباً وما فيه خلاف بينهم^(٢) .

مثال قوله تعالى : { صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ }^(٣) أي : هم صم ، هم بكم ، هم عمى ، حذف المبتدأ لأنه جاء بعد ما الخبر صفة له في المعنى^(٤) . وقوله تعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }^(٥) (كَيْفَ) في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأ ، التقدير :

^١ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٧٧/٢ .

^٢ د. عبد الفتاح أحمد الحموز ، التأويل النحوي في القرآن الكريم ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ -

١٩٨٤م ، ١٣٩/١ - ١٤٠ .

^٣ سورة البقرة : الآية (١٨) .

^٤ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، (د. ت) ،

٨٠/٢ .

^٥ سورة النساء : الآيتان (٤١-٤٢) .

فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم ، أو : كيف صنعهم وهذا المبتدأ هو العامل إذا (١) .

قال تعالى : { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (٢) (طاعة) : مرفوع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره أمرنا طاعة (٣) .

ومن حذف المبتدأ أيضاً قوله تعالى : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ } (٤) فيه وجهان : أحدهما : أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك ، يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب (*) .

وفي حذف الخبر قوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } (٥) (فعدة من أيامٍ أُخر) قراءة الجمهور برفع (عدة) على أنه مبتدأ محذوف الخبر وقدر قبل ، أي : فعليه عدة وبعد أي أمثل له ، أو خبر مبتدأ محذوف أي : فالواجب أو فالحكم عدة (٦) .

^١ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ط ٢ ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، دار الفكر ، ٢٥٢/٣ .

^٢ سورة النساء : الآية (٨١) .

^٣ أبو البركات بن الأنباري ، البيان في غريب القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ٢٦١/١ .

^٤ سورة الأنفال : الآية (٥) .

* محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف ، (د. ت) ، دار المعرفة ، ١١٤/٢ .

^٥ سورة البقرة : الآية (١٨٤) .

^٦ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٣٢/٢ .

وقوله تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } (١) هم أموات بل هم أحياء (٢) . أي : لا تقولوا هم أموات بل هم أحياء وبينهما طباق (٣) . وقوله تعالى : { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (٤) (اتبعن) مبتدأ محذوف الخبر لدلالة المعنى عليه . ومن اتبعن كذلك أي : أسلموا وجوههم لله ، كما تقول قضى (زيدٌ) نحبه و(عمر) أي : و(عمر) كذلك أي : قضى نحبه (٥) . وقوله تعالى : { الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } (٦) ييخلون : مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين ييخلون ويفعلون ويصنعون أحقّاء بكل ملامة (٧) .

حذف الاسم يشيع في التنزيل في مواضع كثيرة جداً (٨) ولا يستطيع أحد حصرها لذا أوردت لها فقط بعض الأمثلة وجزء للمبتدأ أو الخبر على سبيل التمثيل وليس الحصر .

ثانياً : حذف الفعل : أقلّ شيوعاً في التنزيل من حذف الاسم (٩) ، يقول فيه (ابن الأثير) : [أعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين : أحدهما يظهر بدلالة

^١ سورة البقرة : الآية (١٥٤) .

^٢ الزمخشري ، الكشاف ، ١٠٣/١ .

^٣ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار إحياء التراث العربي ، (د. ت) ، ١٠٧/١ .

^٤ سورة آل عمران : الآية (٢٠) .

^٥ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٤١٢/٢ .

^٦ سورة النساء : الآية (٣٧) .

^٧ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٢٦٨/١ .

^٨ عبد الفتاح الحموز ، التأويل النحوي في القرآن الكريم ، ١٣٧/١ .

^٩ المرجع السابق رقم (٣) ، ٥٢٤/١ .

المفعول عليه ، كقولهم في المثل : (أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ) فنصب (أهلك والليل) يدل على محذوف ناصب ، تقديره : الْحَقُّ أَهْلَكَ وَبَادِرِ اللَّيْلِ ، وهذا مثل يضرب في التحذير] .

ومِمَّا ورد في الأخبار النبوية أن جابراً (*) تزوج فقال له رسول ﷺ : (فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) (١) يريد فهلاً تزوجت جارية ، فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه .

ومِمَّا ورد شعراً قول (أبو الطيب المتنبي) في قصيدته الكافية التي يمتدح بها عضد الدولة (أبا شجاع بن بويه) ومطلعها :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ

وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وبعض الأبيات لتعلقها وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع .

إذا التوديع أعرض قال قلبي عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناكا !
قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أعلك ما شفاكا
فأستر منك نجوانا وأخفي هموما قد أطلت لها العراكا
إذا عاصيتها كانت شدادا وإن طاوعتها كانت ركাকা
إلى أن قال :

وما أَرْضَى لِمَقْلَتِهِ بِجَلْمٍ *** إِذَا انْتَبَهْتَ تَوْهَمَهُ ابْتِشَاكَ

* جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، الإمام الكبير ، المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، سير أعلام النبلاء ، ١٨٩/٣ .
١ صحيح مسلم بشرح النووي ، ٩/٥ - ١٠ ، ص ٥٣ .

ولا إلا بأن يصغي وأحكي *** فليتك لا يتيمه هواكا (١)

فقوله : [ولا مناكا] فيه محذوف ، تقديره : ولا صاحبت مناكا ، وكذلك قوله [ولا إلا بأن يصغي وأحكي] فإن فيه محذوفاً ، تقديره : ولا أرضى بأن يصغي وأحكي .

أما القسم الآخر ؛ فإنه لا يظهر فيه قسم الفعل ؛ لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه ، وإنما يظهر بالنظر إلى ملائمة الكلام . وقد استعمل هذا القرآن الكريم في غير موضع .

ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما كقوله تعالى : { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ } (٢) وهو لأمركم وحده ، وإنما المراد أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ؛ لأن معنى أجمعوا من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه ، ومنه قوله تعالى : { فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ } (٣) .

وقد قرأ (أبي) رضي الله عنه (٤) [فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم] (٤) . وهذا دليل على ما أشرت إليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن

١ ديوان أبو الطيب المتنبي ، ط ١ / الأخيرة ، الابتشاك : البَشْكُ (في السير) : حفة نقل القوائم ، وهو يُبَشِكُ وَيَبْشِكُ وَيَبْشِكُ ، وامرأة بشكى اليدين والعمل ، أي سريعة ، والبَشْكُ : الكَذِبُ ، بَشْكُ يَبْشِكُ بَشْكًا ، كَذِبٌ ، انظر كتاب العين ، للفراهيدي .

٢ سورة يونس : الآية (٧١) .

٣ سورة يوسف : الآية (١٥) .

• أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، سيّد القراء ، الأنصاري ، المدني ، المقرئ البدري ، جمع القرآن في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعرضه عليه وحفظ عنه علماً مباركاً ، سير أعلام النبلاء ، ٣٨٩/١ .

٤ هي قراءة تفسيرية شاذة لمخالفتها لرسم المصحف العثماني ، وهي شرط في صحة القراءة ، وركن من أركانها ، انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجذري ، ١٤٩/١ .

مسعود (⇔) رضى الله عنه (١) .

ومن حذف الفعل أيضاً أن يذكر أحد الضدين ويترك الآخر كقوله تعالى : { لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } (٢) (٣) ومعنى الكلام ومنهم أمة فاسقة لا يفعلون ذلك بدليل قوله سبحانه وتعالى : { وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (٤) .

قوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا } (٥) أي : كان مريضاً فحلق ، أو به أذىً من رأسه من رأسه فحلق فعليه فدية (٦) .

ثالثاً : حذف الحرف : وهو حذف يشيع في التنزيل في مواضع كثيرة منها مثل قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (٧) قيل إنَّ الأصل في هذا الفعل أن يتعدى إلى مفعولين الثاني منهما بحرف جر ، وحرف الجر إما أن يكون (إلى) أي : إلى الصِّرَاطِ المستقيم ، فحذف حرف الجر . أو (ل) : للصرَاطِ (٨) .

⇔ عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم وهو من مهاجرة الحبشة شهد بدرًا ، المعرفة

والتاريخ ، للبسوي ، ٢٤٥/١ .

^١ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ٨٧ - ٨٩ .

^٢ سورة آل عمران : الآية (١١٣) .

^٣ محمد طاهر ، العرفان ، ١٥٠ .

^٤ سورة آل عمران : الآية (١١٠) .

^٥ سورة البقرة : الآية (١٩٦) .

^٦ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٣١/١ .

^٧ سورة الفاتحة : الآية (٦) .

^٨ عبد الفتاح الحموز ، التأويل النحوي ، ٧٠٢/١ ، ٧٠٩-٧١٠ .

قيل حذف الحرف ليس بقياس ؛ لأنَّ الحروف للاختصار فلو كنت تحذفها لكنت تختصرها ، واختصار المختصر إجحاف به (١) ، وقيل يحذف (٢) .

جاء في قوله تعالى : { الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا } (٣) حذف الجار ، أي : يبغون لها عوجاً (٤) .

وقوله تعالى : { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ } (٥) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن افطروا . ويجوز أن يكون معنى يطيقونه ، أي : يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (٦) . أمّا في تفسير (الجلالين) قدره بحذف (لا) أي : لا يطيقونه ، ولا ضرورة لهذا الحذف ؛ لأنَّ معنى الآية يطيقونه بجهدٍ شديد وذلك كالشيخ الهرم ، والحامل ، والمرضع ، فهم يستطيعونه لكن مع المشقة الزائدة ، والطاقة اسم لمن كان قادراً على الشيء مع الشدة والمشقة (٧) .

القسم الثاني من الحذف هو حذف الجملة ، وهو ينقسم لقسمين أيضاً : أحدهما : حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً ، وهذا أحسن المحذوفات جميعها ، وأدّ لها على الاختصار .

والقسم الآخر : حذف الجمل غير المفيدة ، وقد وردا ههنا مختلطين وجملتها أربعة أضرب :

^١ السيوطي ، الإتقان ، ١٧٤/٢ .

^٢ محمد طاهر ، العرفان ، ١٦٠ .

^٣ سورة الأعراف : الآية (٤٥) .

^٤ السيوطي ، الإتقان ، ١٧٥/٢ و عبد الفتاح الحموز ، التأويل ، ٧١٣/١ .

^٥ سورة البقرة : الآية (١٨٤) .

^٦ الزمخشري ، الكشاف ، ١١٣/١ .

^٧ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٢٣/١ .

الضرب الأول : حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف ، من ذلك قوله تعالى : { الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١) الاستئناف واقع في هذا الكلام على (أُولَئِكَ) ؛ لأنه لما قال : { الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ } إلى قوله : { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } أتجه لسائل أن يقول : [ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟] فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفرح آجلاً .

الضرب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب : ومِمَّا ورد من ذلك في الأخبار النبوية قصة (الزبير بن العوام) (ؓ) رضي الله عنه والرجل الأنصاري الذي خاصمه في شراح الحرة التي يسقي منها النخل ، فلما حضرا بين يدي رسول الله ﷺ قال (للزبير) : (اسقِ ثَمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ) فغضب الأنصاري ، وقال : [يا رسول الله ، أن كان ابن عمك] فتلَوَّنَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وقال : (اسقِ يَا زُبَيْرُ ثَمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجُدُرِ) (٢) وفي هذا الكلام محذوف تقديره : أن كان ابن عمك حكمت

^١ سورة البقرة : الآية (١-٥) .

[ؓ] الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد حواري رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أبو عبد الله رضى الله عنه ، أسلم وهو حدث ، له ست عشرة سنة ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٤١/١ .

^٢ صحيح البخاري ، دار بن كثير ، اليمامة ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ٨٣٢/٢ .

له ، أو قضيت له أو ما جرى هذا المجرى ، فذكر السب الذي هو كونه ابن عمته ، ودلّ به على المسبب الذي هو الحكم أو القضاء ؛ لدلالة الكلام عليه .
 وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب فكقوله تعالى : { إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } (١) والوضوء إنما يكون قبل الصلاة ، لا عند القيام إليها ؛ لأنّ القيام إليها هو مباشرة لأفعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك ، وهذا إنما يكون بعد الوضوء ، وتأويل الآية إذا أردت القيام

إلى الصلاة فأغسل ، فاكتفى بالمسبب عن السبب .

قوله تعالى : { فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } (٢) أي : فضرب فانفجرت منه ، فاكتفى بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب .

الضرب الثالث : الإضمار على شريطة التفسير ، وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره ، فيكون الآخر دليلاً على الأول (٣) ، ومثاله قوله تعالى : { وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } (٤) فافعل ، مضمرة ، بذلك جاء التفسير ، وذلك معناه .
 وإنما تفعله العرب في كل موضع يُعرف فيه معنى الجواب ؛ ألا ترى أنّك تقول تقول للرجل : إن استطعت أن تتصدق ، إن رأيت أن تقوم معنا ، بترك الجواب ؛ لمعرفتك بمعرفته . فإذا جاء ما لا يُعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته ؛

^١ سورة المائدة : الآية (٦) .

^٢ سورة البقرة : الآية (٦٠) .

^٣ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٧٧/٢ - ٨١ .

^٤ سورة الأنعام : الآية (٣٥) .

كقولك للرجل : إن تقم تُضِب خيراً خيراً ، لا بُدَّ في هذا من جواب ؛ لأنَّ معناه لا يُعرف إذا طُرِحَ (١) .

الضرب الرابع : ما ليس بسبب ولا مسبب ، ولا إضرار على شريطة التفسير ، ولا استئناف . أمَّا ما حُذِفَ فيه من الجمل المفيدة فكقوله تعالى : { قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ * } وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ { (٢) . قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة ، تقديرها : فرجع الرسول إليهم فأخبرهم بمقالة (يوسف) ، فعجبوا لها ، أو فصدقوه عليها ، وقال : الملك ائتوني به ، والمحذوف إذا كان كذلك دلَّ عليه الكلام دلالة ظاهرة ؛ لأنه إذا ثبتت حاشيتنا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف ؛ دلالة الحاشيتين عليه .

وأما ما ورد من هذا الضرب في حذف الجمل التي ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى : { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (٣) هذا الكلام قد حذف منه جملة دلَّ عليها صدره ، وهو البشري

^١ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن ، عالم الكتب بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ، ٣٣١-٣٣٢ .

^٢ سورة يوسف : الآيات (٤٧-٥٠) .

^٣ سورة مريم : الآيات (٧-١٢) .

بالغلام وتقديرها : ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له : { يَا يَحْيَى خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ } فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة والله أعلم .

ومِمَّا يتصل بهذا الضرب حذف ما يجيء بعد أَفْعَلَ ؛ كقولنا : (الله أكبر) فإن هذا يحتاج إلى تمام ، أي : أكبر من كل كبير ، أو أكبر من كل شيء يتوهم كبيراً ، أو ما جرى هذا الجرى ، ومثله يرد قولهم : زيد أحسن وجهاً ، وأكرم خلقاً ، تقديره : أحسن وجهاً من غيره ، وأكرم خلقاً من غيره ، أو ما يسدّ هذا المسد من الكلام ، وعليه ورد قول (البحثري) :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى *** وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ *** وَأَجَلٌ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ (١)

أي : أنت أملأ في العيون من غيرك (٢) .

أما قوله تعالى : { فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } (٣) حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومتين من نظم الكلام ، والتقدير : فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها فلما اهتموا إليها ذبحوها وهذا من الإيجاز بالحذف (٤) .

أسباب الحذف : كثيرة منها :

١ . مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر نحو : الهلال والله ،

أي : هذا ، فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ، إذ لو ذكره

مع ذلك لكان عبثاً من القول .

٢ . التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف .

١ ديوان البحثري للعيون ، ١٠٧٣/٢ ، دار المعارف .

٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٨٢/٢-٨٦ .

٣ سورة البقرة : الآية (٧١) .

٤ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٦٨/١ .

٣. التفتخيم والإعظام .

٤. التخفيف ؛ لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، قال :
(سيبويه) (*) في (الكتاب) (العرب تقول لا أدُر) فيحذفون الياء ، والوجه
(لا أدري) ؛ لأنه رفع ، وتقول : (لم أُبل) ، فيحذفون الألف ، والوجه
(لم أُبال) . كل ذلك يفعلونه استخفافاً لكثرتهم في كلامهم .

حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق ، نحو (الضاربو زيدا) و (الضاربا
زيدا) وقراءة من قرأ : { وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ } (١) كأنّ النون ثابتة (٢) .
وقرأ الجمهور : { الصَّلَاةِ } بالخفض على الإضافة ، وقرأ أبو عمرو :
(الصلاة) بالنصب على توهم النون ، وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم .
وأنشد سيبويه :

الحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ (٣)

٥. رعاية الفاصلة { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ } (٤) قال (الرّماني) : (إنما حذفت
الياء في الفواصل لأتّها على نيّة الوقف ، وهي في ذلك كالقوافي التي لا
يوقف عليها بغير ياء .

٦. يحذف صيانة له قال تعالى : { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ
أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ

* سيبويه ، إمام النحو ، حُجَّةُ العرب ، أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري
طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية ، انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٣٥١/٨ .

١ سورة الحج : الآية (٣٥) .

٢ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ، ١٠٥/٣-١٠٦ .

٣ أبو عبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ،
٥٩/١٢ ، والكتابة لسيبويه ، ٩٥/١ .

٤ سورة الفجر : الآية (٤) .

إِيَّكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } (١)
 حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع : قيل ذكر الرب ، أي هو رب السموات ،
 والله ربكم ، والله رب المشرق ؛ لأن (موسى) عليه السلام استعظم حال
 (فرعون) وإقدامه على السؤال تقيباً وتفخيماً ، فاقصر على ما يستدل به
 من أفعاله الخاصة به ، ليعرفه أنه ليس كمثل شيء ، وهو السميع
 البصير (٢) .

(كل شيء ولا هذا) و (كل شيء ولا شتيمة حر) أي : ائت كل شيء
 ولا ترتكب شتيمة حر (٣) .

٧. صيانة اللسان عنه { صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } (٤) أي هم تحقيراً لهم.
 ٨. كونه لا يصلح إلا له : { عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } (٥) { لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ
 وَلَا نَوْمٌ } (٦) .

٩. شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال (الزمخشري) (٧) : (هو نوع
 من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال ، كقول (رؤبة) (٨) :
 (خيراً) جواب من قال : (كيف أصبحت؟) فحذف الجار وعليه حُمِلَ

^١ سورة الشعراء : الآيات (٢٣-٢٨) .

^٢ الزركشي ، البرهان ، ١٠٧ .

^٣ سيبويه ، الكتاب ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٧م ، ٢٨١/١ .

^٤ سورة البقرة : الآية (١٨) .

^٥ سورة المؤمنون : الآية (٩٢) .

^٦ سورة البقرة : الآية (٢٥٥) .

* الزمخشري : المفسر التحوي ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخُوَازِرمي الحنفي أبو القاسم .
 المعروف بالزمخشري ، ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ ، انظر العقد الثمين ، أحمد الحسين ، ١٣٧٧-١٤٨٠ .

^٧ رؤبة بن العجاج التميمي ، الراجز ، من أعراب البصرة ، وسمع أباه والنسابة البكري ، كان رأساً
 في اللغة ، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة ، توفي سنة خمس وأربعين ومئة ، سير أعلام النبلاء ، للذهبي ،
 ١٦٢/٦ .

قراءة (حمزة) (◌) : { تَسَاءُلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } (١) ؛ لأنَّ هذا مكان شُهرِ بتكرير الجار ، فقامت الشهرة مقام الذكر (٢) .

فائدته :

١. التفخيم والإعظام ؛ لما فيه من الإبهام ، لذهاب الذهن كل مذهب ، وتشوُّقه إلى ما هو المراد فيرجع قاصراً عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو في النفس مكانه .

٢. زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر ، كان الالتذاذ به أشد وأحسن .

٣. زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ؛ بخلاف غير المحذوف ، كما تقول في العلة المستنبطة والمنصوصة .

٤. طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .

٥. التشجيع على الكلام ؛ ومن ثمَّ سماه (ابن جنِّي) (↔) : (شجاعة العربية).

٦. موقعه في النفس في موقعه على الذكر ؛ ولهذا قال شيخ الصناعتين

(عبد القاهر الجرجاني) : [ما من اسمٍ حذف في الحالة التي ينبغي أن

يحذف فيها إلاَّ وحذفه أحسن من ذكره] (٣) .

• حمزة بن حبيب بن عمارة الزيَّات القارئ ، وُلد سنة (٨٠) ، انظر تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ٢٤/٣ .

١ سورة النساء : الآية (١) .

٢ الزركشي ، البرهان ، ١٠٨/٣ .

↔ ابن جنِّي عثمان بن جنِّي ، أبو الفتح الموصلي النحوي ، له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها ، كان يقول الشُّعر ، سكن بغداد ودرس ومات فيها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، انظر تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ٣١١/١١ - ٣١٢ .

٣ الزركشي ، البرهان ، ١٠٤/٣ - ١٠٥ .

وهناك حذف رديء ، وهو الإيجاز المقصر لكنه يوجد في الشعر وغيره ، ولا يوجد في القرآن حذف رديء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وتَنَزَّهُ عن كل نقص سبحانه وتعالى : { لَوْحٌ مَّحْفُوظٌ } (١) { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } (٢) .

من الحذف الرديء ما ذُكِرَ من (نثر الكُتَّاب) ما كتب بعضهم : فإنَّ المعروف إذا زَجَا (٣) كان أفضل منه إذا توافَرَ وأبْطَأ . وتَمَام المعنى أن يقول : (إذا قلَّ وَزَجَا) ، فترك ما به يتم المعنى ؛ وهو ذكر القِلَّة ، ومثل هذا مُقَصِّر غير بالغ مَبْلَغ ما تقدم في هذا الباب من الحذف الجيد (٤) .

^١ سورة البروج : الآية (٢٢) .

^٢ سورة الفرقان : الآية (٣٢) .

^٣ زَجَا : من زَجَى وتزجىة ومزجاة ، والأخيرة بمعنى قليلة ، مختار الصحاح للرازي ، ٢٣٦ .

^٤ العسكري ، الصناعتين ، ٢٠٧ .

القسم الثاني إيجاز القصر أو القصر

القصر لغة : قصر ، قَصَرْتُهُ : حسبته . وهو كالتنازع المقصور : الذي قَصَرَهُ قيدهُ . وقَصَرْتُ نفسي على هذا الأمر : إذا لم تطمح إلى غيره .
قَصَرْتُ طرفي : لم أرفعه إلى ما لا ينبغي ، وهُنَّ قاصرات الطرف : قَصَرَنَهُ على أزواجهنَّ . وقَصَرَ السُّرَّ : أرخاه ، واقتصر على هذا : لا تجاوزه ، وقَصْرُكَ وقَصَارُكَ وقُصَارُكَ أن تفعل كذا .
وخذ مَخَاصِرَ الطُّرُق ومَقَاصِرَهَا وهي ما يُختصر منها (١) .
يقال قَصَرَ نفسه على كذا : حَسَبَهَا عليه وألزمها إيَّاهُ .
والثوبَ قَصْرًا ، وقَصَارَةَ : دَقَّهُ وبَيَّضَهُ .
(قَصْرُ) الشيء - قَصْرًا ، وقِصْرًا : ضد طال ، فهو قصيرٌ ، جمع قِصَارٌ .
(القَصْرُ) : بيتٌ فخْمٌ واسعٌ . جمع قِصُورٌ (٢) .
قَصَرَ : قُصُورًا الشيء : نقص . رخص .
قَصْرًا : الشيء : جعله قصيرًا . ضدَّ مدَّه .
قَصُرَ : قَصْرًا وقِصْرًا وقَصَارَةَ : ضد طال .
قَصَّرَ : الشيء : ضدَّ طَوَّلَهُ . والقِصْرُ : خلاف الطول .
القَصْرُ جمع قُصُور : ما شُيِّدَ من المنازل وعلا (٣) .

^١ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ٥٠٩-٥١٠ .

^٢ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، ٥٠٤ .

^٣ المنجد في اللغة ، (د. ت) ، انتشارات إسماعيليات .

(ق ص ر) - (القَصْرُ) واحدُ القُصورِ . وقولهم : (قَصْرُكَ) أن تفعل كذا - و(قَصَرَ) الشيءَ حَبَسَهُ وبأبْهٍ نَصَرَ ومنه (مَقْصُورَةٌ) الجامع . وقَصُرَ الشيءُ بالضمُّ ضدُّ طالَ يَقْصُرُ قِصْرًا بوزنِ عِنَبٍ (١) .

أمّا عن تعريفه اصطلاحاً فلا يبعد عنه لغة حيث قيل : [هو ما ليس بحذف] (٢) وقيل أيضاً : [هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني] وقيل : [هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف] وقيل أيضاً : [هو الذي لا يمكن التعبير عن معانيه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها] (٣) .

هو الضرب الثاني عند (ابن الأثير) حيث قال فيه : [هو ما زاد معناه على لفظه] وهذا القسم في التنبه له عُسر ؛ لأنه يحتاج إلى فَضْلٍ تأمّل ، وطول فكرة ؛ لخفاء ما يستدل عليه ، ولا يستنبط ذلك إلا من رَسَتْ قَدَمُهُ في ممارسة علم البيان ، وصار له خليقة وملكة ، ولم أجد أحداً علّم هذين القسمين بعلامة ولا قيدهما بقيد (٤) .

وقيل : [القَصْرُ تقليلُ الألفاظ وتكثير المعاني] (٥) .

إيجاز القصر هو الوجيز بلفظه . قال بعضهم : [هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ] . وقال آخر : [هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة] وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال عليه السلام : (أُوتِيَتْ جوامع الكلم) (٦) وقال (السيوطي) نقلاً عن (الطبيبي) في (التبيان) :

١ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٩م ، ٤٧٢ .

٢ الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ١٨١ .

٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٧٦ .

٤ ابن الأثير ، المثل السائر ، ٧٤ .

٥ العسكري ، الصناعتين ، ١٩٥ .

٦ سبق تخريج الحديث .

[هو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله تعالى : { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ } (١) جمع في أحرف العنوان ، والكتاب والحاجة) .

وقيل في وصفٍ بليغٍ : (كانت ألفاظه قوالب معناه) - قلت : (وهذا رأي من يدخل المساواة في الإيجاز) (٢) .

والقول عندي وعند علماء البيان قول علت كلمته في الإيجاز في آياته سبحانه وتعالى قوله عز وجل : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ } (٣) . فإن معناه كثير ، ولفظه قليل ؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتِلَ قُتِلَ كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم . وقد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم : [القتل أنفى للقتل بعشرين وجهاً أو أكثر] .

وقد أشار (ابن الأثير) إلى إنكار هذا التفصيل وقال : [لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق ، وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك] .

الأول : أن ما يناظره من كلامهم وهو قولهم (القصاص حياة) أقل حروفاً ، فإن حروفه عشرة وحروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر .

الثاني : أن نفى القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه .

^١ سورة النمل : الآيتان (٣٠-٣١) .

^٢ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ١٤٩/٢-١٥٠ .

^٣ سورة البقرة : الآية (١٧٩) .

الثالث : أن تنكير حياة يفيد تعظيماً ، فيدل على أن في القصاص حياة متطاوله كقوله تعالى : { **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ** } ^(١) ولا كذلك المثل ، فإن اللام فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أن الآية فيه مطردة ، بخلاف المثل فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون ادعى له وهو القتل ظلماً وإثماً ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبداً .

الخامس : الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل ، والخالي من التكرار أفضل من المشتمل عليه وإن لم يكن مُحِلًّا بالفصاحة .

السادس : الآية مستغنية عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم فإن فيه حذف من التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها ، وحذف قصاصاً مع القتل الأول وظلماً مع القتل الثاني ، والتقدير : القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه .

السابع : في الآية طباق ؛ لأن القصاص يُشعر بضد الحياة بخلاف المثل .

الثامن : الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذي هو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة ، ذكره في (الكشاف) ، وعبر عنه صاحب (الإيضاح) بأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال في عليه .

التاسع : أن في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره ، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت بذلك فصاحته .

العاشر : أن المثل كالتناقض من حيث الظاهر ؛ لأن الشيء لا ينفي بنفسه .

^١ سورة البقرة : الآية (٩٦) .

الحادي عشر : سلامة الآية من تكرير قلقة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غُنة النون .

الثاني عشر : اشتغالها على حروف متلازمة .

الثالث عشر : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والتاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة ، والحياة أقبل للطباع .

الخامس عشر : لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو منبئ عن العدل ، بخلاف مطلق القتل .

السادس عشر : الآية مبنية على الإثبات ، والمثل على النفي ، والإثبات أشرف ؛ لأنه أول والنفي ثانٍ عنه . السابع عشر : المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة . وقوله : { فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } مفهوم من أول وهلة .

الثامن عشر : في المثل بناء أفعال التفضيل من فعل ، متعدّد ، والآية سالمة منه .

التاسع عشر : أفعال في الغالب يقتضي الاشتراك فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفيًا وليس الأمر كذلك ، والآية سالمة من ذلك .

العشرون : الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما .

الحياة أيضاً في قصاص الأعضاء ؛ لأنّ قطع العضو ينقص أو ينغص مصلحة الحياة ، وقد يسري إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل في أول الآية {وَلَكُمْ} فيها لطيفة هي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، وأنّهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجود فيمن سواهم (١) .

^١ السيوطي ، الإتقان ، ١٥٣/٢ - ١٥٦ .

نجد هناك آيات كثيرة في إيجاز القصر مثل قوله تعالى : { هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ } (١) أي هدىً للضالين الصائرين إلى الهدى بعد الضلال ، وحسنة
التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه وإلى تصدير السورة بذكر أولياء
الله (٢) .

وجاء في هذا المعنى أيضاً فيما معناه : ذهاباً إلى أن المعنى : هدىً
للضالين الصائرين إلى التقوى بعد الضلال ، لما أن الهدى إلى الهداية إنما تكون
للضال لا للمهتدي . ووجه حسنه قصد الجواز المستفيض نوعه ، وهو وصف
الشيء بما يؤول إليه ، والتوصل به إلى تصدير أولى الزهراوين بذكر أولياء
الله (٣) .

نجد أن الإيراد منكرًا { هُدًى } والإيجاز في ذكر المتقين زادنا الله إطلاعاً
على أسرار كلامه وتبييناً لنكت تنزيله وتوفيقاً للعمل بما فيه . موضع
الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرًا (٤) .

القرآن الكريم ملآن بإيجاز القصر وهو قسمان :
أحدهما : ما يدل لفظه على احتمالات متعددة ، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل
ألفاظه وفي عدتها .

والثاني : ما يدل لفظه على احتمالات متعددة ، ولا يمكن التعبير عنه بمثل
ألفاظه وفي عدتها ، لا بل يستحيل ذلك (٥) .

١ سورة البقرة : الآية (٢) .

٢ الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ١٨٥ .

٣ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٢٧٧ .

٤ الزمخشري ، الكشاف ، ١٢٣/١ .

٥ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٠٧/٢ .

منه قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } (١) هذا القسم هو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً ، وأَعْوَزُهَا إمكاناً ، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذاً نادراً (٢) .

أما عن أمثلة القسم الأول : فقوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (٣) قيل : لما نزلت الآية سأل (جبريل) فقال : (لا أدري حتى أسأل) ثم رجع فقال : (يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك) .

وعن (جعفر الصادق) (٤) أمر الله نبيه عليه عليه السلام بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (٥) ، وجاء فيها أيضاً -الآية- جُمع في الآية جميع مكارم الأخلاق ؛ لأنَّ في الأمر بالمعروف صلة الرحم ، ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب ، وغَضَّ الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم ، وغيرهما (٦) ومضافاً إلى ذلك في الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام وصلة القاطعين ، وتنزيه النفس عن ممارسة السفية (٧) .

١ سورة البقرة : الآية (١٧٩) .

٢ يرجع لشرح الآية فيما سبق .

٣ سورة الأعراف : الآية (١٩٩) .

٤ جعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضی الله عنه (انظر نزهة الألبان في الألقاب لابن حجر العسقلاني ، ٤٢٠/١) .

٥ الزمخشري ، الكشاف ، دار المعرفة ، ١١١/٢ .

٦ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١١٥/٢ - ١١٦ .

٧ الزركشي ، البرهان ، ٢٢٦/٣ .

أما قوله تعالى : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } (١) الآية على قلة ألفاظها جمعت معاني كثيرة استوعبت جميع الأشياء والشئون على وجه الاستقصاء حتى قال (ابن عمر) : (من بقي له شيء فليطلبه ، وهذا الأسلوب البليغ يسمى (إيجاز قصر) ومداره على جمع الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة (٢) .

ومع تتبعي القاصر والغير دقيق وأقول غير جازمة بأنه لا سورة إلا والإيجاز فيها ، فإن للإيجاز في كل موقع وجود وجيز ومكانة - والله أعلم .

هناك سؤال ! وهو هل بين الإيجاز والإطناب واسطة ؟ ذهب الأكثرون إلى ذلك فقالوا : [إن المساواة وسط بين الإيجاز والإطناب ، وذهب البعض ومنهم (ابن الأثير) إلى أنه لا واسطة بينهما] . قال السيوطي في الإتيان [واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا ؟ ، وهل هي داخلية في قسم الإيجاز ؟ فالسكاكي وجماعة على الأول ، لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة ؛ لأنهم فسروا بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقاً بالبسط] و (ابن الأثير) وجماعة على الثاني ، فقالوا : [الإيجاز : التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والإطناب بلفظ أزيد] (٣) .

مقام المساواة هو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنده ، وهذه النكتة لا يعتد بها في البلاغة ، ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة ، والحق أنها نادرة الوقوع في الكلام البليغ ، وإنما تقع في كلام الأوساط كما سبق .

^١ سورة الأعراف : الآية (٥٤) .

^٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٤٥٤/١ .

^٣ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ٣٥٢ .

من المساواة قوله تعالى : { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } (١) من

القرآن ، ومن الشعر قول النابغة الذبياني :

فَأِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *** وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ (٢)

هذا البيت لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمنتأى مكان الإنتاء وهو البعد أو الشر عنك بعيد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ، لأنّ الواسع في الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذي لجأ إليه النابغة ، ولا يقدر في عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدر فيها .

وأيضاً مما يعد من المساواة قول زهير :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ *** وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ (٣) (٤)

ومن الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (الحلال بين الحرام بين) (٥) (٦) .

ويمكننا القول بأنّ المساواة هي إحدى الطرق الثلاث التي يلجأ إليها البليغ للتعبير عن كل ما يجول بنفسه من خواطر وأفكار . فالبليغ على حسب مقتضيات الأحوال والمقامات قد يسلك في أداء معانيه تارة طريق (الإيجاز) ، وتارة طريق الإطناب وتارة طريقاً وسطاً بين بين ، هو طريق المساواة .

١ سورة فاطر : الآية (٤٣) .

٢ ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ٥٦ .

٣ ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الفكر ، اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .

٤ عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، ١١٧/٢ - ١١٨ .

٥ صحيح البخاري ، ج ١ ، باب رقم ٣٧ ، حديث رقم ٥٢ ، ص ٢٨ ، دار ابن كثير ، بيروت .

٦ محمد شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١١ .

قال الشاعر :

أَهَابَكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ *** عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبِهَا

وما هجرتك النفس أنك عندها *** قليل ولكن قل منك نصيبها

فإذا تأملنا هذا المثال وسابقه وجدنا الألفاظ فيها بقدر المعاني ، وأننا لو حاولنا أن نزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة لغير فائدة ، أو أردنا إسقاط لفظ لكان ذلك إخلالاً بالمعنى . فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني .
ولذلك يسمى أداء الكلام بهذه الطريقة (مساواة) (١) .

^١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢٢٠-٢٢١ .

الباب الثاني الفصل الأول الإطناب

مادة الإطناب في اللغة (طنب) الطاء والنون والباء أصلٌ يدل على ثبات الشيء وتمكّنه في استطالة . من ذلك الطُنْبُ : طُنْبُ الحِيَامِ ، وهي حبالها التي تشد بها .

يقال طُنَّبَ بالمكان : أقام . والإطنابة : المِظْلَةُ ، كأنها إفعالة من طُنْبَ لأنها تثبت على ما تُظَلُّه .

الإطنابة : سيرٌ يشدُّ في طرف وترِ القَوْسِ . ومن الباب قولهم : أطنب في الشيء إذا بالغَ ، كأنه ثبت عليه إرادةً للمبالغة فيه .

ويقولون : طُنِبَ الفرسُ ، وذلك طول المتن وقوّته ، فهو كالطُنْبِ الذي يمدُّ ثم يثبّت به الشيء . وكذلك أطنبت الإبل ، إذا تبع بعضها بعضاً في السير . وأطنبت الرّيح إطناباً ، إذا اشتدّت في غبار . ومعنى هذا أن ترتفع العبرة حتى تصير كالإطنابة ، وهي كالمظلة (١) .

الطُنْبُ بضمّين جبل طويل يشدُّ به سُرادِقُ البيت أو الوتدُ . والجمع أطنابٌ . وطِنْبَةٌ وسيرٌ يُوصَلُ بوترِ القَوْسِ ثم يُدارُ على كُظْرِها كالإطنابةِ وَعَصْبَةٌ في النحر والنعث أطنبُ وطنباُ وطنباُ وطنباُ تَطْنِيباً . مدّه باطنابةٍ وشدّه والذئبُ عوى . وبالمكان أقامَ والإطنابةُ المِظْلَةُ . أطنبتِ الرّيحُ : اشتدّت في غبار . والإبل اتبع بعضها بعضاً في السير . والنهر بعدَ ذهابه . والرجل أتى بالبلاغة في الوصف

^١ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، دار الجليل بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ٣/٤٢٦ .

مدحاً كان أو ذمّاً . والمَطْنَبُ كَمَقْعَدٍ : المنكب والعاتق ، وجيشٌ مِطْنَابٌ عظيمٌ ، وتَطْنِيبُ السِّقَاءِ تَطْبِيبُهُ وهو تمخيضه .

وجاري مِطْنَابِي طُنْبُ بَيْتِهِ إِلَى طُنْبِ بَيْتِي (١) وفي الحديث : [مَا أَحَبُّ بِالْأَطْنَابِ ؛ يَعْنِي : مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْتِي إِلَى جَانِبِ بَيْتِهِ ، لِأَنِّي أَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ كَثْرَةَ خَطَايَايَ مِنْ بَيْتِي إِلَى الْمَسْجِدِ (٢) طَنْبٌ ، هُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْنَابِ وَالْأَطْنَابِيِّ . وَهُوَ جَارٌ مِطْنَابِي ، وَحِيٌّ مِطْنَابِيٌّ . وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ : قَدْ طَانَبْتُهُمْ فِي الْمَحَالِّ وَسَايَرْتُهُمْ فِي التُّجَعِّ وَحَضَرْتُ مَعَهُمْ وَبَدَوْتُ . وَبَيْتٌ مِطْنَبِيٌّ . وَطَنْبٌ خِبَاءٌ . وَأَطْنَبُ فِي الْأَمْرِ . وَفَرَسٌ أَطْنَبٌ : طَوِيلُ الظَّهْرِ ، وَفِيهِ طَنْبٌ وَهُوَ عَيْبٌ . وَشَدٌّ إِطْنَابَةٌ الْإِبْرِيمُ وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يُعْقَدُ إِلَيْهِ .

قال النابغة :

حَتَّى اسْتَعْتَنَ بِأَهْلِ الْمَلْحِ ضَاحِيَةً *** يَرُكُضُنَ قَدْ قَلَقْتُ عَقْدُ الْأَطْنَابِيِّ (٣)

من المجاز : وشدّ الله المفاصل بالأطناب وهي الأعصاب ، والأشاجع أطناب الأصابع .

لي حاجاتٌ أطنابِيٌّ ، أَيٌّ : طويّلة كثيرة لا تكاد تنقضي .
وغاراتٌ أطنابِيٌّ : متصلة لا آخر لها .

^١ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٠١/١-١٠٢ .

⇔ في المستدرک للحاکم النيسابوري .

^٢ ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٦١/١ .

⇔ رواية الديوان : حتى استعانت بأهل الملح ما طعمت *** في منزلٍ ، طعمَ نومٍ غيرَ تأويبٍ ، وأهل الملح : أهل فرارة حيث كان لهم ماء ملح . التأويب التعب والسير ، ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٦ .

وقال الفرزدق :

وَقَدْ رَأَى مُصَعَبٌ فِي سَاطِعِ سَبَطٍ *** مِنْهَا سَوَابِقَ غَارَاتِ أَطَانِيبٍ (١)
وَطَنَّبَ بِالْبَلَدِ أَقَامَ بِهِ . وَجَرَادٌ مُطَنَّبٌ : كَثِيرٌ . وَنَهْرٌ مُطَنَّبٌ : بَعِيدُ
الذَّهَابِ (١) .

الطُّنْبُ : حَبَلُ الْخَبَاءِ (وَالسُّرَادِقِ) وَنَحْوَهُمَا . وَأَطْنَابُ الشَّجَرِ : عُرُوقُهَا
وَأَطْنَابُ الْجَسَدِ : عَصَبٌ يَصِلُ الْمَفَاصِلَ وَالْعِظَامَ وَيَشُدُّهَا .
وَالْإِطْنَابَةُ : سَيْرٌ يُوصَلُ بَوْتِرِ الْقَوْسِ الْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ يَدَارُ عَلَى كُظْرِهَا ، وَقَوْسٌ
مُطَنَّبَةٌ (٢) .

الطُّنْبُ : بَضْمَتَيْنِ حَبَلٍ طَوِيلٍ يَشُدُّ بِهِ سِرَادِقُ الْبَيْتِ وَعِبَارَةٌ الْمَحْكَمِ
يَشُدُّ بِهِ الْبَيْتَ ، وَالسِرَادِقُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرَائِقِ ، أَوْ الطَّنْبُ الْوَتْدُ وَأَخْطَأُ مِنْ
جَعَلَهُ مَعْطُوفًا عَلَى السِرَادِقِ . يَعْنِي بِهَذَا مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ لِلْفَرَاهِيدِيِّ .
الْجَمْعُ أَطْنَابٌ وَطَنْبَةٌ ، عَلَى مِثَالِ أَعْنَابٍ وَعَنْبَةٍ وَالْأَطْنَابُ هِيَ الْأَوَاخِي
وَهِيَ الطَّوَالُ مِنْ حِبَالِ الْأَخْبِيَّةِ ، وَالْأَصْرُ الْقِصَارُ وَاحِدٌ أَصَارٌ ، وَالْأَطْنَابُ
مَا شَدَّوْا بِهِ الْبَيْتَ مِنَ الْحِبَالِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرَائِقِ . وَالطَّنْبُ وَاحِدٌ أَطْنَابُ
الْحَيْمَةِ فَاسْتَعَارَهُ لِلطَّرِيقِ وَالنَّاحِيَةِ ، قَالَ شَيْخُنَا وَزَعَمَ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ أَنَّهُ
اسْتَعْمَلَ مَفْرَدًا فَيَكُونُ كَعُنُقٍ وَجَمْعًا أَيْضًا فَيَكُونُ كَكْتَبٍ وَقَالَ ابْنُ السَّرَاجِ فِي
مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ : طَنْبٌ وَأَطْنَابٌ كَعُنُقٍ وَأَعْنَاقٌ وَلَا يَجْمَعُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ،
وَقَالَ : فِي مَوْضِعٍ آخَرَ يُقَالُ : عُنُقٌ وَأَعْنَاقٌ وَطَنْبٌ وَأَطْنَابٌ فَيَمْنُ جَمْعُ الطَّنْبِ

١ ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) ، ٢٥/١ ، السبط : السهل من الشعر والمطر الغزير
الأطانيب : الخيل يتبع بعضها بعضاً ، مصعب : أخو عبد الله بن الزبير .

٢ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار صادر بيروت ، ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م ، ص/٣٩٦-٣٩٧ .

٣ الفراهيدي ، العين ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ٥٧٧ .

فأفهم خلافاً في جواز الجمع وأنه يستعمل بلفظ واحد للمفرد والجمع وعليه قوله :

إِذَا أَرَادَ انْكِرَاساً عَنْ لَهٗ *** دُونَ الْأُرُومَةِ مِنْ أَطْنَابِهَا طُنْبٌ (١)

وقيل في معنى البيت إذا أراد الدخول في الكناس عرض له من عروق تلك الشجرة ما يمنعه من الدخول . فجمع بين اللغتين فاستعمله مجموعاً ومفرداً بنية الجمع .

الأطنابة سير يشدّ في طرف الحزام ليكون عوناً لسيره إذا قلق ، قال النابغة يصف خيلاً :

فَهِنَّ مُسْتَبْطَنَاتٌ يَطْنُ ذِي أُرْلٍ *** يَرْكُضْنَ قَدْ قَلِقَتْ عَقْدُ الْأَطْنَابِ (٢)

والإطنابة سير الحزام المعقود إلى الإبزيم وجمعه الأطناب . وقيل عقد الأطناب الألباب والحزم إذا استرخت .

طنب : عين بين ماوية وذا العشر . وطنوب : قرية بجزيرة بني نصر . والطنب عرق الشجر ، جمعه أطناب وهي عروق تتشعب من أرومتها . من المجاز : أطناب الشمس : أشعتها التي تمتد كأنها القُصْبُ وذلك عند طلوعها . وفرس في ظهره طنب أي طول وهو عيب في الذكور دون الإناث كما عرف في الفراسة والنعت أطنب للمذكر وهي طنباء ويقال فرس أطنب إذا كان طويل القرا ، قال النابغة :

لَقَدْ لَحِقْتُ بِأُولَى الْخَيْلِ تَحْمِلُنِي *** كَبْدَاءُ ، لَا شَنْجٌ فِيهَا وَلَا طَنْبٌ (٣)

١ ديوان ذو الرّمة . إنكراًساً : دخولاً وانضماماً . عنّ له : عرض له . دون : أمام . الارومة : أصل

الشجرة ، من أطنابها : عروقها ، طنب : عرق شبهه بطنب البيت .

٢ سبق تخرجه في الديوان لكن صدر البيت مختلف .

٣ لم أعتز عليه في الديوان .

وطنب الذئب : عوى ، والإطنابة : (امرأة) من بني كنانة بن القيس بن جسر بن قضاة . وعمرو ابنها الشاعر (١) مشهور ، واسم أبيه زيد مناة .
أطنب الرجل في الكلام : أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً كان أو ذمّاً ،
والإطناب : البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذمّاً ، وأطنب في
الكلام : بالغ فيه ، والإطناب المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه ، والمطنب
المدّاح لكل أحد .

والمطنب حبل العاتق وجمعه المطانِب وطنب ، كذلك الطنِيب جمعه الطنائب
واستدرك هنا شيخنا على المؤلف أطناب الجسد وطنبا النحر وهو عجيب
ولعلهما سقطا من نسخته والله أعلم (٢) .

طنب : الطُنْبُ والطُنْبُ معاً حبل الخباء والسرادق ونحوهما .
وأطنابُ الشجر : عروقٌ تَتَشَعَّبُ من أرومَتِهَا . والأواحِيُّ : الأطنابُ ،
واحدتُها أحيّةٌ . والأطنابُ : الطوالُ من جبالِ الأحييةِ ، والأصْرُ : القصارُ ،
واحدُها : إصار . والأطنابُ : ما يُشَدُّ به البيتُ من الجبالِ ، بين الأرض
والطرائق .

قيل : الطُنْبُ حبلٌ طويلٌ يُشَدُّ به البيتُ والسُّرادقُ بين الأرض والطرائق .
قيل : هو الوتْدُ ، والجمع أطنابٌ وطِنْبَةٌ .

وَطَنَبَهُ : مَدَّهُ بِأطنابه وشَدَّهُ . وخباءُ مُطَنَّبٌ : ورواقٌ مُطَنَّبٌ أي مشدود
بالأطناب . وفي الحديث : (ما بَيْنَ طُنْبِي المدينة أَحْوَجُ مِنِّي) (٣) .

١ عمرو بن الإطنابة الخزرجي صاحب : أبت لي عفتي وأبي بلائي *** واخذي الحمد بالثمن الريح .
٢ محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، تاج العروس ،
دار الفكر ، (د . ت) ، ٣٥٦/١ - ٣٥٧ .
٣ صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب (٩٥) ما جاء في قول الرجل ويلك حديث رقم (٥٨١٢)
وفي رواية أخرى [ما بين لابتئها] .

أي ما بين طرفيها . وفي حديث عمر رضي الله عنه : أن الأشعث بن قيس تزوج امرأة على حكمها ، فردّها عمر إلى أطناب بيتها ؛ يعني : ردّها إلى مهرٍ مثلها من نسائها ؛ يريد إلى ما بُني عليه أمرُ أهلها ، وامتدّت عليه أطنابُ بيوتهم .
والطُّنْبُ : واحدُ أطناب الخيمة ، فاستعاره للطرف والناحية .

والطُّنْبُ : عِرْقُ الشجر وعَصَبُ الجسد . قيل أطنابُ الجسد : عَصَبُهُ التي تتصل بها المفاصلُ والعظامُ وتشدُّها .

الطُّنْبَانِ : عَصَبَتَانِ مَكْتَنَفَتَانِ ثَغْرَةَ النَّحْرِ ، تمتدان إذا تَلَفَّتَ الإنسانُ .

والمِطْنَبُ : المِصْفَاةُ . والمِطْنَبُ والمِطْنَبُ أيضاً : المَنْكِبُ والعاتق .

قال امرؤ القيس :

وَإِذْ هِيَ سَوْدَاءُ مِثْلُ الفَحِيمِ *** تُعَشِّي المِطْنَبَ والمَنْكِبَا (Ω)

والطُّنْبُ : خَبْرَاءُ من وادي ماوِيَّةَ ، وماوِيَّةُ : ماءُ لَبْنِي العَنْبَرِ ببطن فُلج؛

عن ابن الأعرابي وأنشد :

لَيْسَتْ من اللَّائِي تَلْهَى بالطُّنْبِ *** ولا الخَبِيرَاتِ مع الشَّاءِ المُغِبِّ (Φ)

والطُّنْبُ ، بالفتح : اعوجاج في الرُّمَحِ ، وطُنْبَ بالمكان : أقام به .

وعَسْكَرٌ مُطْنَبٌ : لا يرى أقصاه من كثرته .

وجيشٌ مِطْنَابٌ : مِطْنَابٌ : بعيد ما بين الطرفين لا يكاد ينقطعُ .

قال الطَّرْمَاحُ :

عَمِّي الذي صَبَحَ الحَلَابِ ، غُدْوَةً *** من نَهْرَوَانَ ، بِجَحْفَلٍ مِطْنَابِ

الإطنابُ : البلاغة في المنطق والوصف ، مدحاً كان أو ذمّاً .

أطنبَ في الكلام : بالغ فيه .

Ω امرؤ القيس : ديوانه ، ص ٧٤ .

Φ ابن الأعرابي : الخبيرات : خبِراواتُ بالصَّلْعاء ، صَلْعاء ماوِيَّةُ ؛ سُمِّيَنَ بذلك لأنهن أنخبرنَ في الأرض أي أنخفنَ فاطمأننَ فيها .

والإطْنَابُ : المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه .
 والمُطْنَبُ : المدّاحُ لكل أحد .
 وطَنَبَ الفرسُ طَنَبًا ، وهو أَطْنَبُ ، والأُنثى طَنَبَاءُ طال ظهره .
 وأطْنبت الإبلُ إذا تَبِعَ بعضها بعضاً في السير . وأطْنَبَتِ الرِّيحُ إذا اشتدَّتْ
 في غبار . وخَيْلٌ أَطَانِيبُ : يَتَّبِعُ بعضها بعضاً .
 ومُطْنَبٌ : بعيدُ الذهاب ، ومنه أطنب في الكلام إذا أَبْعَدَ ، يقول : [من كنت
 أخاهُ ، فإنما هو على بحر من البحور ، من الخصب والسعة] (١) .
 وجاء أيضاً نفس المعنى في التهذيب حيث قال : (الطُّنْبُ حُبْلُ الخِباءِ .
 والطُّنْبُ : عِرْقُ الشَّجَرِ وعَصْبُ الجَسَدِ ، والمَطْنَبُ : المنكبُ والعائقُ .
 والطَّنْبُ ، بالتحريك : اعوجاجُ في الرُّمَحِ (٢) .
 الطنب : بضمّتين ، وسكون الثاني : لغة الحبل تشدّ به الخيمة ونحوها ،
 والجمع : (أطناب) : مثل عنق أعناق .
 والطنب : بفتحّتين طول ظهر الفرس ، وهو عيب عندهم ، وهو مصدر من
 باب تعب ، وفرس (أطنب وطنباء) : مثل أحمر وحمراء ، و(أطنبت الرّيح
 إطناباً) اشتدت في غبار ، ومنه يقال : (أطنب الرجل) : إذا بالغ في قوله
 كمدح أو ذم (٣) . وأطنب : الشاعر في الكلام : أتى بالبلاغة في الوصف
 مدحاً أو ذماً وفي الكلام : بالغ فيه (٤) .

^١ ابن منظور ، لسان العرب ، ١/٥٦٠-٥٦٢ .

^٢ الزنجاني ، تهذيب الصحاح ، ٧٢-٧٣ .

^٣ المقرئ الفيومي ، المصباح المنير ، ٢٦ .

^٤ جورج غريب ، أسرار اللغة ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، دار الثقافة ، ١٦٢ .

(طُنْب) - طُنْبًا : طَالَتْ رِجْلَاهُ فِي اسْتِرْحَاءٍ - و - : طَالَ ظَهْرُهُ ، وَهُوَ عَيْبٌ فِي الْخَيْلِ . و - : الرَّمْحُ وَنَحْوُهُ : اعْوَجَّ - فَهُوَ أَطْنَبٌ ، وَهِيَ طُنْبَاءٌ - (ج) طُنْبٌ .

(أَطْنَب) فِي الْكَلَامِ أَوْ الْوَصْفِ أَوْ الْأَمْرِ : بَالِغٌ وَأَكْثَرٌ .

(طُنْب) الْخَيْمَةُ وَنَحْوَهَا : جَعَلَ لَهَا أَطْنَابًا وَشَدَّهَا بِهَا .

(الإِطْنَابُ) - (فِي عِلْمِ الْمَعَانِي) : أَنْ يَزِيدَ اللَّفْظُ عَلَى الْمَعْنَى لِفَائِدَةٍ . وَهُوَ يُقَابَلُ الْإِيْجَازَ ، وَتَتَوَسَّطُهُمَا الْمَسَاوَاةُ .

(الطُّنْبُ) حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ الْخَبَاءُ وَالسَّرَادِقُ وَنَحْوَهُمَا - (ج) أَطْنَابٌ (١) .

من ذلك نخلص إلى أن الإطناب لغة مفرداً وجمعاً لا يختلف معناها كثيراً ويأتي بمعنى حبل الخباء ، والبعد ، والشدة ، والطول ، والقوة والكثره ومفردتها طُنْبٌ وطُنْبٌ وطُنْبٌ أما الجمع فطُنْبٌ ، طُنْبٌ وأطنابٌ وطِنْبَةٌ وأطانيب ومطانب وطنائب والمشتهر منها فهو أطناب .
الطُّنْبُ وَالطُّنْبُ : الْعَرَبُ إِذَا تَوَالَتْ حَرَكَتَانِ خَفَّفُوا بِالسُّكُونِ .
قال أحدهم :

سَيَرُوا بَنِي الْعَمِّ فَالْأَهْوَاذِ مَنْزِلِكُمْ *** أَوْ فَهْرٌ تِيرِي فَلَا تَعْرِفَكُمُ الْعَرَبُ

وقد خصَّص (سيبويه) باباً في ذلك لا يلتقي ساكنان (٢) ففي سورة

البقرة الآية { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ

١ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، ٣٩٥ .

٢ سيبويه ، الكتاب ، ٢٦٣/١ ، ٣٦٥ .

التَّوَابُ الرَّحِيمِ { (١) وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } (٢) .

(فأبو عمرو) في كلمتي (بارئكم) و (يأمركم) في الحرفين يقرأ باختلاس الحركة في ذلك كله من طريق البغداديين وهو اختيار (سيبويه) ومن طريق الرقيين وغيرهم بالإسكان وهو المروي عن (أبي عمرو) دون غيره ، وبذلك قرأت على (الفارسي) عن قراءته على (أبي طاهر) والباقون يشبعون الحركة (٣) أي يقرأونها (يأمركم) و (بارئكم) .

وأقرب تعريف يمكن أن يلحق ببحثنا هذا هو ما جاء في المعجم الوجيز وهو أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة، وهو يقابل الإيجاز وتتوسطهما المساواة. وأقرب منه وأقوى التعريف الذي يقول : هو القوة والشدة والمبالغة والبلاغة سواء كانت في مدح أو ذم في الكلام وهذا وافقه ما جاء في لسان العرب وغيره .

وسنأتي لتعريفه اصطلاحاً وهو لا يبعد عنه لغة .

الإطناب في اصطلاح علماء البيان هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارات متعارف الأوساط ، سواء كانت الكثرة راجعة إلى الجمل أو غير الجمل (٤) . ويشرح (التفتازاني) متعارف الأوساط بأنه متعارف الذين ليسوا في مرتبة البلاغة ولا في غاية الفهامة أي : كلام في مجرى عرفهم في تأدية المعاني عند المعاملات والمحاورات .

١ سورة البقرة : الآية (٥٤) .

٢ سورة البقرة : الآية (٦٧) .

٣ الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، التيسير في القراءات السبع ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص ٧٣ .

٤ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٢٧٧ .

وقريب من هذا شرح ابن يعقوب المغربي له إذ يقول : (وهو متعارف) أي المتعامل به في عرف الأوساط من الناس وهم الذين ليسوا في غاية البلاغة ولا في غاية الفهاهة وهي العي والعجز في الكلام ، ويشرح (مجرى عرفهم في تأدية المعاني) بقوله : [أي عند جريانهم على عادتهم في تأدية المعاني التي تعرض لهم الحاجة إلى تأديتها في الحوادث اليومية] (١) .

جاء تعريفه في (فنون البلاغة) بأنه : هو تأدية المعنى المراد بعباراة زائدة عليه . بشرط أن يكون الزائد لفائدة : فإن لم يكن لفائدة كان الكلام تطويلاً إن كان الزائد غير متعين وكان حشواً إن كان الزائد متعيناً ، هو ضربان :
١. مفسد للمعنى كقول (المتنبي) :

ولا خير فيها للشجاعة والندى *** وصبر الفتى لولا لقاء شعوب (٢)

[المعنى يقول : لولا الموت لما كان لهذه المعاني فضل ، وذلك لو أن الناس آمنوا الموت لما كان للشجاعة فضل على الجبان ؛ لأنه قد أيقن بالخلود . وكذلك كلّ الأشياء ، فلولا الموت لما كان لهذا كله فضل على غيره ، واستوى الشجاع والجبان ، والكريم والبخيل والصابر والجازع] .

٢. غير مفسد للمعنى كقول (زهير) :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله *** ولكنني عن علم ما في غد عمى (*)

^١ عالي سرحان عمر القرشي ، المبالغة في البلاغة العربية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ص ٢٢٣ .

* في ديوانه رواية أخرى : وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى *** وَصَبْرَ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ شُعُوبٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَنِيَّةِ ، معرفة لا يدخلها التعريف وسميت شعوبا ؛ لأنها تفرق اشتقاقها من الشعبة ، وهي الفرقة ، ديوانه بشرح العكبري ، ٥٠/١ ، (د . ت) .

* الرواية في الديوان :

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *** وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمٍ

الديوان طبعة دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

ذكر (ابن الأثير) أن الحد الذي به الإطناب أن يقال : (هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة) فهذا حدُّه الذي يميزه عن التطويل ؛ إذ التطويل هو : زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة .

والإطناب لا إيجاز هو ولا تطويل ، كما أنّ الحمرة أو الخضرة ليست بياضاً ولا سواداً ، إنّ الإطناب يأتي في الكلام مؤكداً كالذي يأتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود إمّا حقيقة وإمّا مجازاً ، والتطويل ليس كذلك ؛ فإنّه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه ، فإذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيء ، وهذا بخلاف الإطناب ، فإنه إذا حذفت منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغيّر ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع ما لم يكن إلاّ بها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (١) وهذا لا يسمى إيجازاً ؛ لأنّه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور ، وقد علم أنّ القلوب لا تكون إلاّ في الصدور ، ولا يسمى تطويلاً ؛ لأنّ التطويل لا فائدة فيه أصلاً ، وهذا فيه فائدة ، وهي أنّه قد تعورف وعلم أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحَدَقَة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب تشبيهه ، ومثل ؛ فلما أريد إثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الإبصار احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ؛ ليتقرر أنّ مكان العمى إنما هو القلوب لا الأبصار (٢) .

^١ سورة الحج الآية (٤٦) .

^٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢٠/٢ - ١٢٤ .

ورد في (سر الفصاحة) معنى آخر للإطناب وهو التذييل وهو أن يكون اللفظ زائداً عن المعنى وفاضلاً عنه (١) . أمّا عند (السيوطي) قيل : (بمعنى الإسهاب) ، والحق أنّه أخصّ منه ، فإنّ الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة ذكره التنوخي وغيره (٢) . وقد ذكر في ذلك حديث (أعوذ بالله من الإسهاب) - فيما سبق - .

اعلم أنّ الإطناب وادٍ من أودية البلاغة ، ولا يرد إلّا في الكلام المؤتلف ولا يختص بالمفردات ؛ لأنّ معناه لا يحصل إلّا في الأمور المركبة .
والإطنابُ مصدرُ أطنب في كلامه إطناباً ، إذا بالغ فيه وطوّل ذبوله لإفادة المعاني واشتقاقه من قولهم : أطنب بالمكان إذا طال مُقامه فيه ، وفرس مطنب إذا طال مَنته ، ومن أجل ذلك سُمِّيَ جبل الخيمة طنباً لطوله ، وهو نقيض الإيجاز في الكلام .

ومعناه في لسان علماء البيان هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد فقولنا : [هو زيادة اللفظ على المعنى] ، عامٌّ في الإطناب ، وفي الألفاظ المترادفة كقولنا : [ليثٌ وأسدٌ] ، فإنّه من باب زيادة اللفظ على معناه وقولنا : [لفائدة] ، يخرج عنه التطويلُ ، فإنّه زيادة من غير فائدة ، وقولنا : [جديدة] تخرج عنه الألفاظ المترادفة ، فإنّها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغوية ، ولكنها ليست جديدة ، وقولنا : [من غير ترديد] يحترز به عن التواكيد اللفظية كقولنا : [اضرب اضرب] ، فإنّها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة ، وهو التأكيد ، لكنه ترديد اللفظ وتكريره بخلاف الإطناب فإنه خارجٌ عن التأكيد ، فوضح بما ذكرناه ماهية الإطناب بهذه القيود التي

^١ الخفاجي ، سر الفصاحة ، ٢٠٧ .

^٢ السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، ٧٠/٢ .

أشرنا إليها ، فصارت الأمور التي يلبس بها الإطناب ثلاثة ، التطويل وهو مزيد من غير فائدة ، والتكرير والترادف .

وقد خرج التكرير بقيد التردد ، وخرج المترادف بقيد الفائدة ، الجديدة ، وخلص باعتبار هذه القيود عن غيره من سائر الحقائق ، فكان حاصل الإطناب الاشتداد في المبالغة في المعاني ، أخذاً من قولهم : أطنبت الريح إذا اشتد هبوبها ، وأطنب الرجل في سيره ، إذا اشتد فيه ، وهو غير مناقض لما ذكرناه في اشتقاقه .

وأما التفرقة بين الإطناب والتطويل فإن علماء البيان لهم في ذلك مذهبان : **المذهب الأول** : أن الإطناب هو التطويل ، وهذا هو المحكي عن (أبي هلال العسكري) وآخر وقالوا : [إن كتب الفتوح والتقاليد كلها ينبغي أن تكون مطولة كثيرة الإطناب ؛ لأنها مما يقرأ على عوام الناس لافتقارها إلى البيان] فكلامهما يقضي بأنه لا تفرقة بين الإطناب والتطويل .

المذهب الثاني : أنهما يفترقان ، فإن الأول يذكر لفائدة عظيمة بخلاف الثاني فإنه لا فائدة وراءه وهذا هو الذي عليه الأكثر من علماء البلاغة (١) . لكن العسكري لم يقل ذلك بل قال : [الإطناب بلاغة، والتطويل عي ... لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ... والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزهٍ يحتوي على زيادة فائدة] (٢) .

أما رأيي فهو رأي الرافعي إذ يقول : ليس في القرآن كلمة أو كلمات زائدة ، ثم الكلمات التي يظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة ، فإن من ذلك أحرفاً فيه كقوله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ } (٣) وقوله

^١ العلوي ، الطراز ، ٢ / ٢٢٩-٢٣٢ .

^٢ العسكري ، الصناعتين ، ٢١٠-٢١١ .

^٣ سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

تعالى : { فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا } (١) فَإِنَّ النحاة يقولون : إن (ما) في الآية الأولى و (أن) في الثانية، زائدتان، أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم وقيس عليه ، مع أن هذه الزيادة لونا من التصوير لو حُذِف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته ... التي تشعر ببلاغة السياق .

وعلى هذا يجري كُـلُّ ما ظُنَّ أَنَّهُ في القرآن مزيد ، فَإِنَّ اعتبار الزيادة فيه وإقرارها بمعناها ، إنما هو نقص يَجِلُّ القرآن عنه ، وليس يقول بذلك إلاَّ رجل يعتسفُ الكلام ويقضي فيه بغير علمه أو بعلم غيره ... فما في القرآن الكريم حرف واحد إلاَّ ومعه رأيٌ يسنحُ في البلاغة ، من جهة نظمه ، أو دلالته ، أو وجه اختياره ، بحيث يستحيل البتة أن يكون فيه موضع قلق أو حرف نافر أو جهة غير محكمة أو شيء مما تنفذ في نقده الصنعة الإنسانية من أي أبواب الكلام إن وسعها منه باب .

لكنك واحد في الناس من ينقبض ذرعه ، ويُقصر به علمه ، ولا يدعُ مع ذلك أن يُقدم على الأمر لا يعرف من أين مُطلَّعه ومأتاه فيمضي القول على ما خيَّل ، ويفتي بما احتال ، ولا يمنعه تقصيره من أن يستطيل به ولا استطالته من أن يكابر عليها ، ولا مكابرتَهُ من اللجاج فيها ، فيخطي صواب القول (٢) .

وعليه فإنني أقول : [إن الإطناب هو أداء المقصود من الكلام بأبلغ وأشد وأقوى عبارة من كلام متعارف الأوساط وهذا الرأي لا يبعد عن تعريفه لغة] .

^١ سورة يوسف : الآية (٩٦) .

^٢ مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن ، ط ٨ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م ، الاستقامة ، ٢٦٢-٢٦٣ .

الباب الثاني - الفصل الثاني أسراره البلاغية ورأي الثقاد فيه وموضعه في علم المعاني

للإطناب أسرار ومواضع يستخدم فيها ، وللثقاد آراء فيه تختلف من شخص لآخر ، ومن جماعة لغيرهم فقد قال أصحاب الإطناب : [المنطق هو بيان والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاف لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشده إطاحة بالمعاني ، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء] : [والإيجاز للخواص ، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة] (١) ، والغبي والفظن ، والريّض والمرتاض . ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا .

ولا شك أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والفتوح الجلييلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة ، مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب ، ألا ترى أن كتاب (المهلب) (*) إلى (الحجاج) (•) في فتح (الأزارقة) (⊗) : [الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه الذي حكم بأن

١ ما بين القوسين سبق الرد عليه .

* المهلب بن أبي صفرة الأزدي الأمير البطل ، قائد الكتائب ، أبو سعيد ، المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأزدي العتكي البصري ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٨٣/٤ - ٣٨٥ .

• الحجاج بن يوسف الثقفي أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً ، وكان ظلوماً ، جبّاراً ، ناصبياً ، خبيثاً ، سفكاً للدماء . وكان ذا شجاعة وإقدام ومكرٍ ودهاء ، وفصاحة وبلاغة ، وتعظيم للقرآن ، له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٣٤٣/٤ .

⊗ الأزارقة طائفة من طوائف الخوارج وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق ، الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز ، فغلبوا عليها وعلى كورها ، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله ابن الزبير ، وقتلوا عماله بهذه النواحي ، انظر الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، دار المعرفة ، ١١٨/١ - ١١٩ ، (د . ت) .

لا ينقطع المزيدُ منه حتى ينقطعَ الشكرُ من عباده أمّا بعد ، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين ، يَسْرُنَا منهم أكثر ممّا يسوءنا ، ويسوءهم مِنّا أكثر ممّا يسرهم على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَنَ أمرهم حتى ارتاعت له الفتاةُ ونُومٌ به الرضيعُ فانتَهزتُ منهم الفُرصةُ في وقت إمكانها ، وأدِنيتُ السوادَ حتى تعارفت الوجوهُ ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجَلَهُ فَقُطِعَ دَائِرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين] (*)

إنّما حسن في موضعه ومع الغرض الذي كان لكتابته فيه . وكذلك لو كتب عن السلطان في العذل والتوبيخ وما تحب القلوب منه من التغيير والتنكير ، بمثل ما روى : أن (الوليد بن يزيد) (•) كتب إلى والي العراقين حين عتب عليه : [إني أراك تقدم في الطاعة رجلاً وتؤخرُ أخرى فاعتمد على أيتها شئت والسلام] (∞) .

للإطناب مواضع يأتي فيها فمرة يأتي في الجملة الواحدة من الكلام ، وأخرى في الجمل المتعددة ، والذي يأتي في الأخير أبلغ ؛ لاتساع المجال في إيراده .

نقسّمه هنا قسمين :

القسم الأول : الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام ؛ وهو يرد حقيقةً ومجازاً ؛ أمّا الحقيقة فمثل قولهم رأيتُه بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، وكل هذا يظن الظان أنه زيادة لا حاجة إليها ، ويقول إن الرؤية لا تكون إلاّ بالعين ، والقبض لا يكون إلاّ باليد ، والوطء لا يكون إلاّ بالقدم وليس

* المبرد الكامل ، ٢/٢٩٥ .

• الوليد بن يزيد بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العبشمي ، ذكره البلاذري وأن ولده عبد الله بن الوليد شهد موقعة الجمل مع عائشة (رضى الله عنها) ، سير النبلاء للذهبي ، ٦/٣٢٤ .

∞ العسكري ، الصناعتين ، ٢٠٩-٢١٠ .

الأمر كذلك ، بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله ويعز الوصول إليه ،
فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه دلالة على نيته والحصول عليه . وعليه وافق
قوله تعالى : { فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ } (١) فكلما إن القلب لا يكون
إلا في الجوف فكذلك السقف لا يكون إلا من فوق ، وهذا مقام ترهيب ،
فهذه الآية بكاملها وذكر لفظة (فوقهم) لها فائدة لا توجد مع إسقاطها من
هذا الكلام ، فإنك لو تلوت هذه الآية يُخَيَّلُ إليك أن سقفاً خرَّ على أولئك
من فوقهم ، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك
اللفظة . وهناك الكثير منه في القرآن .

وهذا الموضع ومثله في القرآن كثير يرد ويتوهم بعض الناس أنه يرد
لغير فائدة ، وليس الأمر كذلك ؛ فإن هذه الأسرار البلاغية لا يتنبه لها
إلا العارفون بها ، وهكذا يرد في كلام العرب ما يرد (٢) . وهذا إن دلَّ على
شيء إنما يدل على أن القرآن الكريم محفوظ من الزيادة والنقصان .

ما جاء على سبيل المجاز نورد قوله تعالى : { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (٣) ففائدة ذكر الصدور هنا أنه قد
تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحدقة بما
يطمس نورها ، واستعماله في القلب تشبيهه ومثَّل ؛ فلما أريد إثبات ما هو
خلاف المتعارف احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ؛ ليتقرر أن
مكان العمى إنما هو القلب لا الأبصار .

١ سورة النحل الآية (٢٦) .

٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢١/٢ - ١٢٣ .

٣ سورة الحج الآية (٤٦) .

هذا موضع من عِلْمِ البيان كثيرة محاسنه ، وافرة لطائفه ، والمجاز فيه أحسن من الحقيقة ؛ لمكان زيادة التصوير في إثبات وصف الحقيقي للمجازي، ونفيه عن الحقيقي .

بعدها انتهينا من القسم الخاص بالجملة نأتي للقسم الثاني : هو المختص بالحمل المتعددة وهو يشتمل على ضروب أربعة :

الأول منها : أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعاني متداخلة ، إلا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر ، كقول (أبي تمام) :

قَطَعَتْ إِلَى الزَّابِيَيْنِ هِبَاتُهُ *** وَالتَّاتَ مَأْمُولُ السَّحَابِ الْمَسْبِلِ

مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ *** بِكِرٍ وَإِحْسَانٍ أَعْرَ مُحَجَّلٍ (ل)

فقوله [منة مشهورة ، وصنيعة بكر ، وإحسان أعر محجل] تداخلت معانيه ، إذ المنة والصنيعة والإحسان متقارب بعضه من بعض ، وليس ذلك بتكرير ؛ لأنه لو اقتصر على قوله : [منة وصنيعة وإحسان] لجاز أن يكون تكريراً ، ولكنه وصف كل واحدة منهن بصفة أخرجتها عن حكم التكرير . فلما وصف هذه المعاني بأوصاف متباينة صار ذلك إطناباً ، ولم يكن تكريراً . وقال أنه لم يجد في ضروب الإطناب أحسن من هذا الموضع ولا ألطف وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيراً ، بخلاف غيره من الشعراء .

الضرب الثاني : يسمى النفي والإثبات وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الإثبات أو العكس ، ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر وإلا كان تكريراً ، والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود .

↓ ديوانه ، ص ١٥٠ ، وفي رواية بدل المسبل : السبل ، التات : من ليث وليث فلان وتليث : انتمى إلى بني ليث أو صار ليثي الهوى ، انظر تاج العروس للزبيدي ، ٥٧٨/١ .

قال تعالى : { لَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * } إِنَّمَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (١) .

وأعلم أن لهذا الضرب من الإطناب فائدة كبيرة ، وهو من أوكد وجوهه، قال تعالى : { لَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ ... وَأَنْفُسِهِمْ } ثم قال : { إِنَّمَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } والمعنى في ذلك سواء ، إلا أنه في الآية الثانية قال تعالى : { وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير ، وهذا الموضع ينبغي أن يتأمل وينعم النظر فيه .

الضرب الثالث : هو أن يذكر المعنى الواحد تاماً لا يحتاج إلى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبي عبادة البحرى :

ذَاتِ حُسْنٍ لَوْ اسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُسْنِ *** إِلَيْهِ لَمَا أَصَابَتْ مَزِيدًا

فَهِيَ كَالشَّمْسِ بَهْجَةً وَالْقَضِيبِ اللَّدْنِ *** قَدًّا وَالرَّيْمِ طَرْفًا وَجِيدًا (*)

ألا ترى أن الأول كافٍ في بلوغ الغاية في الحسن ؛ لأنه لما قال : [لو استزادت من الحسن لما أصابت مزيداً] دخل تحته كل شيء من الأشياء الحسنة ، إلا أن التشبيه مزياً أخرى تفيد السامع تصويراً وتخيلاً لا يحصل له من الأول .

الضرب الرابع : أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة ، وهذا أصعب الضروب الأربعة طريقاً ، وأضيقها باباً ؛ لأنه يتفرّع إلى أساليب كثيرة من المعاني ، وأرباب النظم والنثر يتفاوتون فيه ، وليس

^١ سورة التوبة : الآيتان (٤٤-٤٥) .

* ديوان البحرى : روايته : فَهِيَ الشَّمْسُ بَهْجَةً ، وَالْقَضِيبُ وَالْغَضُّ لِينًا ، وَالرَّيْمُ طَرْفًا وَجِيدًا

ديوانه ، ص ٦١ .

الخاطر الذي يقذف بالدرر في مثله إلاّ معدوم الوجود ، ومثاله مثال الإيجاز مثل مجمل ومفصل .

فإذا أُريد وصف بستان ذا فواكه متعددة ؛ فإن كان على سبيل الإيجاز قيل : [فيه من كل فاكهة زوجان] وهذا كلامه سبحانه وتعالى : { فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ } (١) .

وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره ، وإذا أُريد وصف البستان على سبيل الإطناب قيل : [جنة عَلتْ أرضها أن تمسك ماء ، ... ، وهي ذات ثمار مختلفة الغرابة ، ... ، وفيها غير ذلك من أشكال الفاكهة وأصنافها ، ... ،] فهذا الوصف على هذه الصورة يسمى إطناباً ؛ لأنه لم يَعْرَ عن فائدة ، وذاك الأول هو الإيجاز ؛ لأنه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة (٢) .

بعد أن تعرّضنا للمواضع التي يأتي فيها الإطناب من جملة وغيره نذكر المواضع والأغراض التي يستخدم فيها ورأى النقاد والبلاغيين والأدباء فيه فهذا أبو العباس المبرد يقول عنه : [من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخّم] وقد عرف أنّ الإطناب عنده هو : [التعبير بأكثر ما يمكن من الألفاظ] ، وهنا يعني أنّ كلام البلغاء إمّا أن يكون مختصراً مفهماً للغرض الذي يرمي إليه المتكلم ، وإما أن يكون فيه إطناب وطول مع جزالة في اللفظ ووضوح في المعنى وإصابة الغرض (٣) .

^١ سورة الرحمن آية (٥٢) .

^٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢٤/٢-١٢٩ .

^٣ المبرد ، الكامل ، ١٧/١ ، دار الكتب ، وط ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ٢٩ .

نجد أن الإطناب وادٍ من أودية البلاغة ، ولا يرد إلا في الكلام المؤتلف
ولا يختص بالمفردات ؛ لأنّ معناه لا يحصل إلا في الأمور المركبة ، وهو نقيض
الإيجاز .

الإطناب حاصله : الاشتداد في المبالغة في المعاني أخذاً من قولهم :
[أطنبت الريح] ، إذا اشتدَّ هبوبها ، وهو غير مناقض لما ذكرناه في اشتقاقه في
بداية الباب (١) تعريفه لغة واصطلاحاً ، وهذا هو رأيي أيضاً الذي أميل إليه
واعتقده ، أمّا الذين قالوا : أن [الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى] فلقد
وقف العلماء وقفة تأمل أمام نظم الكلام وأساليبه باحثين عن أسباب هذه
الزيادة وعمّا تؤديه من أغراض بيانية ، فخلصوا إلى نتائج مشكورة كانت آية
في الدقة ، وغاية في الإحكام شأنه في كثير من القضايا البلاغية ذات القواعد
المعتمدة على الذوق وعلى الذهن معاً .

وخلاصة ما قالوه عن هذه الأغراض التي يفيدها الإطناب : الإيضاح
بعد الإبهام وهو ذو فوائد جمّة ، ذكر الخاص بعد العام ، التكرير لفائدة ،
الإيغال ، التذييل ، الاحتراس ، التتميم ، الاعتراض ، وضع الظاهر مكان
المضمر وغير ما تقدّم ، وهذا إجمال لا بد له من تفصيل ؛ لأن ذلك متسق مع
الموضوع الذي نتحدث عنه وهو الإطناب ، ألا ترى أنّك بعد ما ذكرت لك
هذه الأمور تجد نفسك تواقفاً لشرحها وتفصيلها ومعرفة ما ترمي إليه ؟ فهذا
هو الإيضاح بعد الإبهام الذي ذكرناه لك في أول أسبابه (٢) .

قيل : [من الكلام ما يحسن فيه الإسهاب والإطالة كالخطب التي يحتاج
أن يفهمها عوام الناس وأصحاب الأذهان البعيدة ؛ فإنّ الألفاظ إذا طالت فيها
وترددت في إيضاح المعنى أثر ذلك عندهم فيه ، ولو اقتصر بهم على وحي

١ العلوي ، الطراز ، ٢٢٩/٢-٢٣١ .

٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٢ .

الألفاظ وموجز الكلام لم يقع لأكثرهم ، حتى يقال في ذكر السيف الحسام القاطع ، والجراز الباتر . وربما كان ذلك الكتاب بالفتح أو الخطبة تقرأ في موقف حافل يكثر فيه لفظ الناس وصخبهم ، فيحتاج إلى تكرار الألفاظ ليكون ما يفوت سماعه قد استدرك ما هو في معناه .

معنى هذا الكلام أنه إذا كان في الإطالة داعياً إلى فهم العامي والبليد فهي في هذا الموضع أصح وأحمد (١) .

هناك مواضع وأسباب تقتضي الإطناب منها : مقام الأُس والتلذذ ؛ لأنّ الأُس يحتاج إلى الإسهاب وإطالة القول ، والبلاغة أن يأتي الكلام مطابقاً للحال التي يلقي فيها ، وأن تتحقق فصاحة كلماته وتراكيبه ، فإن طابق الكلام مقتضى الحال ولم يكن فصيحاً لا يُعد بليغاً ، وكذا إن كان الكلام فصيحاً ولم يطابق مقتضى الحال فليس من البلاغة (٢) .

كما ورد الإطناب باسم الإطالة والإسهاب جاء في (سر الفصاحة) باسم التذييل أيضاً مع الاسمين السابقين حيث قالوا عنه : [إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة ، وبحيث يكون الكلام مخاطباً به عامّة الناس ومن لا يسبق إلى ذهنه تصوّر المعاني] وقال : أن هناك من سمّاه تذييلاً بحجة أنه اعتبر الكلام بالإضافة إلى المخاطب به وليس للمخاطب تأثير في حسن تأليف الكلام وقبحه ، ولو جاز أن يعتبر الكلام بالإضافة إلى المخاطب لجاز أن يعتبر بالإضافة إلى المخاطب به حتى يكون ذلك مؤثراً في صحته أو فساده وحسنه أو قبحه ، وكنا نستحسن كلام العالم العاقل وإن كان رديء التأليف ، ونستقبح كلام الجاهل وإن كان في أعلى طبقات الفصاحة (٣) .

^١ الخفاجي ، سر الفصاحة ، ٢٠٥-٢٠٦ .

^٢ بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، ٣١/١ .

^٣ مرجع رقم (١) ، ٢٠٧-٢٠٨ .

وهناك من استحسّن البسط والإطناب في المواضع التالية :

ما يكتب به عن الملوك في جسيمات الأمور التي يراد تقريرها في نفوس العامة، كأخبار الفتوح المتجددة ، فهذا موضع يشبع فيه القول ، حتى تعرف الرعية قدر النعمة فتزيد في الطاعة ، ولا بأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه ، وعظيم إقدامه ؛ لأن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به . وهذا الموضع شابه موضعاً ذكره (بسيوني عبد الفتاح) في كتابه (علم المعاني) .

وهناك فيما يكتب به الولاة ومن في حكمهم إلى الملوك لإخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجري على أيديهم من مهام الأمور .

ويكون الإطناب في الموعظة والإرشاد بالترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط أمله ، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ الخوف منه كل مأخذ .

الخطب في الصلح بين العشائر لإصلاح ذات البين .
المدح والثناء والهجاء .

ما يكتب به عن الملوك إلى أهل الثغور في أوقات التحرش بالمملكة ، وإقدام العدو على الهجوم عليها ؛ ليعلموا ذلك فيستعدوا للقاءه (١) .

الإطناب بلاغة والتطويل والتطويل عي ؛ (*) لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ... والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه

^١ المراغي ، علوم البلاغة ، ٢٠٠ .

* العي العجز عن الإبانة (سبق تعريفه) قال التمر بن توبل :

أَعْدِي رَبِّ مِّنْ حَصْرٍ وَعِيٌّ *** وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عَلاَجا

يحتوي على زيادة فائدة . قال الخليل : (*) [يختصر الكتاب ليحفظ ، ويبسط ليفهم] .

قيل لأبي عمرو بن العلاء : (°) [هل كانت العرب تطيل] قال : [نعم ، كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها] .

فالإطناب إذا لم يكن منه بد إيجاز : وهو في المواعظ خاصة محمود ، كما إن الإيجاز في الإفهام ممدوح . والموعظة نضرب لها مثلاً بقوله تعالى : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ - أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } (١) فتكرير ما كرر من الألفاظ هاهنا في غاية حسن الموقع . وقيل لبعضهم : [متى يحتاج إلى الإكثار؟] قال : [إذا عظم الخطب] . وأنشد : صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ *** وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُحَبَّرِ ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطلوا ، وإذا أنشدوا الشعر بين السماطين (⇒) في مديح الملوك أطنبوا ، والإطالة والإطناب في هذه المواضع إيجاز .. وقيل لقيس بن خارجه : (ل) [ما عندك في حمالات (⇐)]

* الخليل : الإمام صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي البصري أحد الأعلام ، وهو معدود من الزُّهَّاد ، انظر سير الأعلام للذهبي ، ٤٢٩/٧-٤٣١ .

• أبو عمرو بن العلاء بن عمَّار ، بن العريان التميمي ، ثم المازني البصري شيخ القراء والعربية كان من أهل السنة وأمه من بني حنيفة . اختلف في اسمه علي أقوال : أشهرها زَبَّان ، وقيل العُريَان ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٤٠٧/٦-٤١٠ .

١ سورة الأعراف الآيات (٩٧-٩٩) .

⇒ السماطين : الجانيين . يقال مشى بين السِّمَّاطين ، مختار الصحاح للرازي ، ٢٧٥ .

↓ قيس بن خارجه ذكره البغوي والباوردي والطبراني في الصحابة ، وقال البغوي لا أدري له صحبه أم لا ؟ ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢٥٠/٥ ، وذكره الحضرمي والبغوي في الصحابة ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير الجزري ، ٤١٩/٤ .

⇐ حمالات : الصنائع والإحسان وقد تكون بمعنى الدية ، العين للفراهيدي ، ٢١٤ .

داحس ؟ . قال : [عندي قرى كل نازل ، ورضى كل ساخط ، وخطبة من لدن مطلع الشمس إلى أن تغرب ؛ أمر فيها بالتواصل ، وأنهى فيها عن التقاطع] . فقيل لأبي يعقوب الحزيمي : [هلاً اكتفي بقوله : (أمر فيها بالتواصل) عن قوله : [وأنهى عن التقاطع؟] فقال : [أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا تعمل عمل الإطناب والتكشيف] (١) .

اعلم أن دواعي الإطناب كثيرة منها تثبيت المعنى ، وتوضيح المراد ، والتوكيد ، ودفع الإيهام وإثارة الحمية وغير ذلك (٢) . ولم يبعد المراغي عن هذه الدواعي فقد فصلها وأضاف إليها على النحو التالي :

توكيد المعنى وتثبيته في النفس حيث قال : [ألا ترى إلى قوله تعالى في ذكر الموعدة : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } حيث ذكر نفس الآيات التي ذكرها العسكري في كتابه .

دفع اللبس الذي كان يحتمل وجوده مع الإيجاز واعتبر ذلك بما تراه في قوله تعالى : { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } (٣) فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين : القطعة من اللحم ، والفهم والإدراك . لهذا أتى بكلمة في جوفه ليتعين المعنى الثاني ويزول اللبس .

التعظيم والتهويل ، أنظر إلى قوله تعالى : { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ *

^١ العسكري ، الصناعتين ، ٢١٠-٢١٢ .

^٢ الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ٢٠٢ .

^٣ سورة الأحزاب : الآية (٤) .

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ { (١) (٢) إذ كان يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى : { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } أو غيره مما بعده من الاثني عشر المذكورة ؛ لكنه عددها لتسهيل شأن هذا اليوم .

الخطب بين السماطين ، وإصلاح ذات البين ، يكون فيها الإكثار في غير حطل ، والإطالة في غير إملال ، والسنة ، في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويقصر المحيب .

كان هناك من يكثر كلامه ولا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل منهم : (سهل بن هارون) (٣) فقد كان شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ، وبالخلاوة والفضامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

^١ سورة التكوير : الآيات (١ - ١٤) .

^٢ العِشَارُ : جمع ، عُشْرَاءَ كَفَفَهَاءَ وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر وتجمع (عُشْرَاوَاتٍ) بضم العين وفتح الشين ، مختار الصحاح للرازي ، ٣٨٢ ، قال الفرزدق يهجو جرير : كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَعَمَّةٌ *** فَدَعَاءَ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي الْقَدَعَاءَ الَّتِي اعْوَجَتْ مَفَاصِلُهَا . حلبت عليّ عشاري : أيّ أهما راعيته ، ديوان الفرزدق ، ٣٦١/١ .

^٣ سهل بن هارون بن راهيون الدستيمساني ، أبو عمر ، انتقل إلى البصرة واتصل بخدمة المأمون ، كان حكيماً فصيحاً شاعراً ، فارسي الأصل ، له مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته ، مثل كتاب (ثعلبة وعفرة) على مثال (كليلة ودمنة) وغيرها من الكتب ، شديد التعصب على العرب ، وكان نهاية في البخل وله فيه حكايات ، كانت وفاته بعد المائتين ، فوات الوفيات ، محمد بن شاعر الكتبي ، دار صادر ، (د . ت) ، ٨٤/٢ - ٨٥ .

(زيد بن صوحان) (*) ومنهم أبو وائلة (•) المزني القاضي صاحب الزكن ،
 والمعروف بجودة الفراسة ، ولكثرة كلامه قال له عبد الله بن شبرمة : (٧)
 [أنا وأنت لا نتفق ، أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع] .
 وأتى حلقةً من حلق قريش في مسجد دمشق ، فاستولى على المجلس ، ورأوه
 دميماً باذاً الهيئة ، قشفاً ، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا له :
 [الذنب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتنا في زيِّ مسكينٍ تكلمنا بكلام الملوك] .
 كان (ربيعة الرأي) (∞) لا يكاد يسكت . قالوا : [تكلم يوماً فأكثر
 وأعجب بالذي كان منه ، فالتفت إلى أعرابيٍّ كان عنده فقال : [يا أعرابي :
 ما تعدون العيِّ فيكم] قال : [ما كنت فيه منذُ اليوم] ، وكان يقول : [الساكت

* زيد بن صوحان يقال أن له صحبة ، عداده في أهل الحجاز ، والمعروف أنه مخضرم ، الأصابة في تمييز
 الصحابة ، ٣٠/٣ ، ٢٥٩ ، ابن حُجر بن الحارث بن هجرس بن صبرة بن جذرجان بن عساس العبدي
 الكوفي ، أخو صعصعة بن صوحان ، ولهما أخ اسمه سيحان لا يكاد يعرف ، كنيته أبو سليمان وقيل
 أبو عائشة ، كان من العلماء العباد ، ولا صحبة له ، أسلم في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وذكر
 بعضهم أنه وفد عليه (صلى الله عليه وسلم) كان ثقة قليل الحديث ، سير أعلام النبلاء للذهبي ،
 ٥٢٥/٣-٥٢٨ .

• أبو وائلة : إياس بن معاوية ، قاضي البصرة العالمة ، كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد
 والعقل ، توفي سنة إحدى وعشرين ومئة كهلاً ، سير الذهبي ، ١٥٥/٥ .

٧ عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي ، الإمام العالمة ، فقيه العراق ، أبو شبرمة ، قاضي
 الكوفة ، وهم عم عمار بن القعقاع ، ولكن عمار أسنُّ منه ، شاعراً جوداً ، توفي سنة أربع وأربعين
 ومئة ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٣٤٧/٦ - ٣٤٩ .

∞ ربيعة الرأي : ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي مولاهم أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي ،
 كان صاحب الفتوى بالمدينة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة وعنه أخذ مالك ، كان ثقة مثير
 الحديث وكانوا يتقون له لموضع الرأي قال مالك : [ذهبت حلوة الفقة منذ مات ربيعة] وكان حافظاً ،
 تهذيب التهذيب لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، ٢٢٣/٣-٢٢٤ .

بين النائم والأخرس] . وكان (عبيد الله بن محمد بن حفص التَّمِي) (⊗) كثير العلم والسَّماع متصرفاً في الخبر والأثر ، وكان من أجواد قریش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد .

محمد بن مِسْعَر العَقِيلِي (⇔) كان كريماً ، كريم المجالسة ، يذهب مذهب النُّسَّاك ، وكان جواداً ، مرّ صديق له من (بني هاشم) بقصر له وبستانٍ نفيس ، فبلغه أنه استحسنته ، فوهبه له . وكان (أحمد) (•) بن المُعَدَّل بن غيلان) يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ في المعاني ، وتصرف في الألفاظ . ومِمَّن كان يكثر الكلام جداً : (الفضل بن سهل) (↑)

⊗ عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التَّمِي البصري الاخباري الصادق ، الإمام العلامة الثقة ، أبو عبد الرحمن ، يعرف بابن عائشة وبالعبشي ؛ لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، كان من سراة الناس جوداً وحفظاً ومحادثة ، ولد بعد الأربعين ومئة ومات في شهر رمضان سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٥٦٤/١٠-٥٦٧ .

⇔ محمد بن مِسْعَر العَقِيلِي لم أعثر له على ترجمة .

• أحمد بن المُعَدَّل بن غيلان بن حكم ، شيخ المالكية ، أبو العباس العبدي البصري المالكي ، الأصولي ، شيخ إسماعيل القاضي . تفقه يعبد الملك بن الماحشون ، ومحمد بن مسلمة ، وكان من بحور الفقه ، صاحب تصانيف وفصاحة وبيان ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٥١٩/١١-٥٢١ .

↑ الفضل بن سهل السرخسيّ الوزير ، وأخو الوزير الحسن بن سهل ، أسلم أبوهما على يد المهدي ، وأسلم الفضل بن سهل سنة تسعين ومئة على يد المأمون ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٩٩/١٠-١٠٠ .

ثم (الحسن بن سهل) (→) في أيامه وهناك (علي بن هشام) (◊) كان لا يسكت ، ولا أدري كيف كان كلامه (١) .

روى عن (جعفر بن يحيى بن يحيى البرمكي) أنه قال مع عجبه بالإيجاز: [متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً] وأمر (يحيى بن خالد بن برمك) (*) اثنين أن يكتبوا كتاباً في معنى واحد ، فأطال أحدهما ، واختصر الآخر ؛ فقال للمختصر وقد نظر في كتابه : [ما أرى موضع مزيد] وقال للمطيل : [ما أرى موضع نقصان] .

ندرك من هذا الكلام ، أن كلام الفصحاء إنما هو شوبُ الإيجاز بالإطناب ، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط ، ليستدلَّ بالقصد على العالي ، وليخرج السامع من شيء إلى شيء ، فيزداد نشاطه وتتوفر رغبتُهُ فيصرفوه في وجوه الكلام إيجازه وإطنابه ، حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع ، وقد جاء في القرآن الكريم وفصيح الشعر منه شيء كثير ، فيكون للتوكيد ما قال القائل : [ارم ارم ، واعجل اعجل] وتفصيل ذلك في الفصل التالي :

→ الحسن بن سهل الوزير الكامل ، أبو محمد ، حَمو المأمون ، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل ، من بين حِشمة من الجوس ، فأسلم سهل زمن البرامكة ، وكان فرداً في الجود ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ١١/١٧١-١٧٢ .

◊ علي بن هشام ابن البريد ، الإمام الحافظ الصدوق ، أبو الحسن العائذي القرشي مولاهم الكوفي ، الشيعي ، الخراز ، مولى امرأة قرشية مات سنة ثمانين ومئة وقيل إحدى وثمانين قيل بالكوفة ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٨/٣٤٢-٣٤٥ .

١ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١/٩١ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٦ .

* يحيى بن خالد بن برمك الوزير الكبير ، أبو علي الفارسي من رجال الدهر حزمياً ورأياً وسياسة وعقلاً وحذقاً بالتصريف ، كان أبوه من أحد الأعيان المذكورين ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٩/٨٩-٩١ .

نجد أنّ الإطناب في موضعه مستحسن كما أن الإيجاز في مكانه مستحب ، ولا بد للكاتب في أكثر أنواع مكاتباته من شعبة من الإطناب يستعملها إذا أراد المزاجية بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه ، وذلك مثل أن يكتب : عظمت نعمنا عليه ، وتظاهر إحساننا لديه . فيكون الأخير داخلاً في معناه الأول وهو مستحسن لا يعيبه أحد . ومثله قول حسان بن ثابت :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ *** وَدِ مَا لَمْ يُعَاصِ كَانَ جُنُونًا
فالشعر الأسود داخل في شرح الشباب . وكذلك قول أبي تمام :

رُبَّ حَفْضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ *** مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
الغناء داخل في الحفض والعناء داخل في السرى فاعلم . ومما هو أجل من هذا كله قوله سبحانه تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (١)

فالإحسان داخل في العدل ، وإيتاء ذي القربى داخل في الإحسان ، والفحشاء داخلة في المنكر ، والبغي داخل في الفحش (٢) .

إنّ الإطناب يعد من الإعجاز اللغوي الذي يتضمن الفصاحة والبلاغة وقد قيل في هذا المعنى : [ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصريف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة ، والتشابه في العبارة على هذا الطول وعلى هذا القدر ، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف ، والتكلف والتعسف ، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله عز وجل من قائل : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ

^١ سورة النحل الآية (٩٠) .

^٢ العسكري ، الصناعتين ، ٢٠٩ - ٢١٢ - ٢١٤ .

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ { (١) } وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا { (٢) } . فأخبر أن كلام الآدمي إن امتدَّ وقع
فيه التفاوت وبان عليه الاختلال (٣) . هذا الكلام لا ينفي أن يكون هناك من
أطال وأطنب وأتى بالبلاغة ؛ لكن جاء بها في مرتبة أقل بكثير من درجة
القرآن الذي لا ولن يصل أحد لحد بلاغته وإعجازه وفصاحته وبيانه .
وسنرى ذلك في الفصل التالي الذي يتناول أقسامه وتطبيقاته .

^١ سورة الزمر الآية (٢٣) .

^٢ سورة النساء الآية (٨٢) .

^٣ مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ٢٧٦ .

الباب الثاني - الفصل الثالث أقسام الإطناب

قُسِّمَ الإيجاز إلى قسمين قصر وحذف أمّا الإطناب فقد جاء بأنواع مختلفة لأغراض بلاغية شتى ولأمور كثيرة منها :

البسط والزيادة ، ومنها : الإيضاح بعد الإبهام وذكر الخاص بعد العام ، وذكر العام بعد الخاص ، والتكرير ، والإيغال والاحتراس ويسمى أحياناً التكميل ، والاعتراض ، والتذليل ، والتتميم والتوشيع ، ووضع الظاهر مكان المضمّر ، النفي والإثبات وغير ما ذكر .

أول ما أبدأ به هو : الإيضاح بعد الإبهام وأحياناً يطلق عليه التصريح بعد الإبهام وهذا النوع من الإطناب يعرفه القزويني بقوله : [الإطناب إمّا بالإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا أُلقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم أو لتكمل اللذة بالعلم (١) وبدهي أن تدرك الفرق بين شيئين أحدهما حصل لك به العلم دفعة واحدة .

وثانيهما : علمته على سبيل التدرج شيئاً بعد شيء فإنك لا شك واجد لهذا الأخير لذة في نفسك لا تجدها لسابقه (٢) واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه كقوله تعالى : { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } (٣) فإنّ قوله : { اشْرَحْ لِي } يفيد طلب شرح

^١ القزويني ، الإيضاح ، ١١١ - ١١٢ .

^٢ فضل حسن عباس ، اللاغة فنونها وأفانها ، ٤٨٣ .

^٣ سورة طه : الآيتان (٢٥-٢٦) .

لشيء ما له ، وقوله : { صَدْرِي } يفيد تفسيره وبيانه وكذلك قوله :
 { وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } والمقام مقتض للتأكيد للإرسال المؤذن بتلقي المكاره
 والشدائد (١) لكن جاء صاحب كتاب (البلاغة فنونها وأفنانها) واعترض على
 القزويني كون هذه الآية من هذا الباب وقال : [كأنه فهم هذه الإشارة من
 عبارة الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } (٢)
 ونظن أن الزمخشري لم يرد المعنى الذي أراده القزويني ، ولذا نرجع أن هذا
 ليس من باب الإطناب؛ لأن الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، وما
 نخال أن هاهنا زيادة (٣) . وأنا اتفق مع الرأي الأخير هذا تأمل في قوله :
 { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (٤) فقد فسرت بقوله تعالى : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } (٥) .

استمع وتمعن إلى قوله تعالى حديثاً عن لوط عليه السلام : { فَأَسْرِ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ
 * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } (٦) وأنت هنا
 تتساءل عن هذا الأمر الذي قضاه الله إلى لوط ، ويتشوق فؤادك إلى معرفته ،
 ويبين الله هذا الأمر بعد ذلك بقوله { أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } .

قيل في علوم البلاغة إن قوله تعالى : { أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ } ، تفسير لذلك
 الأمر وتفخيماً لشأنه ، ولو قيل : [وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع] لم
 يكن له من الروعة مثل ما كان له حين الإبهام ، يرشد إلى ذلك أنك لو قلت:

١ القزويني ، الإيضاح ، ١١٢ .

٢ سورة الشرح : الآية (١) .

٣ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها ، ص ٤٨٤ .

٤ سورة الفاتحة : الآية (٦) .

٥ سورة الفاتحة : الآية (٧) .

٦ سورة الحجر : الآيتان (٦٥-٦٦) .

هل أدلكم على أكرم الناس أباً وأفضلهم حسباً وأمضاهم عزيمَةً وأنفذهم رأياً،
ثم قلت : فلان ، كان أدخل في مدحه وأنبل وأفخم مما لو قلت : فلان
الأكرم الأفضل (١) .

ومثل هذا قوله سبحانه وتعالى : { فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ } (٢)
فأنت تترقب ما الذي وسوس به الشيطان إن في ذلك إجمالاً لا بد من
بيانه فيبينه سبحانه بقوله : { قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَا يَبْلَى } (٣) (٤) ففصّله ووضّحه .

للإيضاح بعد الإبهام أضرب منها : باب نعم وبئس ، على قول :
من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، إذ لو أريد الاختصار لقليل :
نعم وبئس أبو هلب ، عوضاً من قولك : نعم الرجل محمد ، وبئس الرجل
أبو هلب .

ووجه حسنه إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه ،
وإيجازه من وجه آخر ، إلى إيهام الجمع بين المنافقين (٥) .

وإذا قلت [نعم الرجل خالد] فأنت ذكرت خالداً مرتين جملة تارة في
قولك : [نعم الرجل] ومفصلة أخرى في قولك : [خالد] وفي هذا إيجاز
بالحذف ، كذلك إذا أعربنا خالداً خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو فيكون في
الجملة إيجاز وإطناب .

١ أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٢ .

٢ سورة طه : الآية (١٢٠) .

٣ سورة طه : الآية (١٢٠) .

٤ مرجع رقم (١) ، ص ٤٨٣ .

٥ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٣ .

بقي من الإجمال بعد الإبهام باب بديع المسرد ، لطيف المأخذ ، وهو التوشيع وهو ، لغة : لف القطن المندوف ، واصطلاحاً : هو أن يؤتي في عجز الكلام غالباً بتمثني مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول . ونجد صلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هنا إذ القطن إنما ينتفع به بعد جمعه ولفه لا في تفريقه وندفه (١) قال صاحب (الطراز) [إن التوشيع يقال له التوسيع ، فأما التوشيع بالشين المثثة الفوقانية فاشتقاقه من توشيع الشجرة وهو تفرُّع أصلها، وأما التوسيع بالسین المهملة فاشتقاقه من قولهم وَسَّعَ في حفر البئر إذا فَسَّحَ فيه ، ومنه فَسَّحَ في المجلس إذا وَسَّعَهُ لمن يجلس (٢) فيه (٣) قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ } (٤) .

مثال للتوشيع قول النبي ﷺ : (يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ ، وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحَرَصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحَرَصُ عَلَى الْعَمْرِ) (٥) وقوله : لأشج بني قيس : (إن فيك لخصلتين يُجبهما الله الحلم والأناة) (٦) .

^١ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٤ .

^٢ انظر مختار الصحاح ، للرازي ، ص ٦٣٦ .

^٣ العلوي ، الطراز ، ٨٩/٣ .

^٤ سورة المجادلة : الآية (١١) .

المجلس في رواية عاصم والباقون بغير ألف (المجلس) على التوحيد ، التيسير للداني ، ص ٢٠٩ .

^٥ رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهية الحرص على الدنيا ، حديث رقم (٥٦٤) .

^٦ رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ، حديث رقم (١) .

وقول ابن الرومي يمدح عبد الله بن وهب :

إِذَا أَبُو الْقَاسِمِ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ ***
لَمْ يَحْمَدِ الْأَجُودَانَ الْبَحْرَ وَالْمَطَرَ (١)
وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارَ غُرَّتِهِ ***
تَضَاعَلُ النِّيرَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وقول البحتري :

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ ***
أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودُ
فِي حُلَّتِي حَبْرٍ وَرَوْضٍ، فَالْتَقَى (٢) ***
وَشَيَانٍ : وَشِي رُبِّي وَوَشِي بُرُودِ
ومنه قول شوقي من قصيدته يا جارة الوادي :

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلِنِ فَرْعِكَ وَالذُّجَى ***
وَلَثَمْتُ كَالصَّبْحِ الْمُنُورِ فَانْكَرَ (٣)
ويمكننا أن تمثل لهذا [إن لنا لخصمين لدودين التبشير والاستشراق] .
[أخطر ما يصيب الأمة داءان الميوعة والإلحاد] ، [وما أحرانا أن تحذر صنفيين
من الناس الأعداء والأدعياء] .

وعبارة بعض الكاتبين توهم أن التوشيع خاص بالثنى وليس كذلك ،
بل يأتي في الجمع كثيراً ومنه قول النبي ﷺ (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ
الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَفَ فِي النَّارِ) (٤) ومنه
قوله : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ

^١ ديوان ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٦م ، ١١٤٩/٣ ، وفيه :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده *** لم يحمد الاجوان البحر والمطر

ولو أضاءت لنا أنوار غرته *** تضاعل النيران الشمس والقمر

وفي رواية : وإن أضاء لنا نور بقرته ، ديوان البحتري ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، ٦٩٧/٢-٦٩٨ .

^٢ الخبر برد بمانية ، البرود : الكساء ، مختار الصحاح للرازي .

^٣ الشوقيات ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٧٠م ، ١٧٩/٢ .

^٤ رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، حديث رقم (١٦) باب رقم (٨) .

خَصْلَةٌ مِنَ الْبِقَاعِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَّبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ
غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ (١) ومنه بيت محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها *** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (٢)
وقولنا : (ما أحوج أمتنا إلى خصال ثلاث : الجود والجرأة والجماعة ،
وما أحوجنا أن نتجنب خصالاً ثلاث : الجبن والجور والجمود) .

فهذه الأمثلة معظمها اتفق مع ما جاء في كتاب (علم المعاني لعتيق)
وهي جميعاً من باب الإيضاح بعد الإبهام وذلك أول موطن من مواطن
الإطناب ففيه زيادة اللفظ على المعنى لكنها زيادة ذات فوائد جليلة (٣) .

وفائدة التوشيح أنه يخرج لنا الكلام من الخفاء المستوحش إلى الظهور
المأنوس (٤) قال تعالى : { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ } (٥) .

ذكر الخاص بعد العام : للتنبية على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً
للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } (٦) (٧) فإن ذكر
(جبريل وميكال) جاء بعد ذكر الملائكة فهو من باب ذكر الخاص بعد العام

^١ رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، حديث رقم (٣٤) باب رقم (٢٣) .

^٢ الرواية في الديوان :

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتهم *** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

^٣ شعراء عباسيون ، أحمد السامرائي ، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

^٤ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٤ — ٤٨٦ .

^٥ محمد شعبان علوان ، نعمان شعبان علوان ، من بلاغة القرآن ، ط ٢ ، ١٩٩٨م ، ١٤٥ .

^٦ سورة آل عمران : الآية (١٤) .

^٧ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٨٩/١ .

^٨ سورة البقرة : الآية (٩٨) .

^٩ القزويني ، الإيضاح ، ١١٢ .

للتشريف والتعظيم (١) وكذلك استدل بهذا في علوم البلاغة (٢) والبلاغة فنونها وأفناها (٣) وصاحب الطراز (٤) وأيضاً في كتاب من بلاغة القرآن (٥) .

ومثاله قوله تعالى : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } (٦) (فالصلاة الوسطى) داخله في عموم الصلاة ، ولكنها خُصَّت بالذكر للتنبيه على ما لها من مزية وفضل (٧) فلقد ذكرت مرتين فهي داخله في قوله تعالى : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ } ثم ذكرت مرة أخرى تنويها وتعظيماً كأنما هي شيء آخر (٨) . لكن صاحب الطراز قال أنها إطناب على جهة التتميم (٩) والأول أصح وأفضل وبه قال صاحب علم المعاني (١٠) وفنون البلاغة (١١) .

قال تعالى : { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١٢) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلان في عموم الدعوة إلى الخير ولكن الله تعالى خصَّهما مرة

١ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٨١/١ .

٢ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٣ .

٣ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٦ .

٤ العلوي ، الطراز ، ٣٢١ .

٥ محمد علوان شعبان ، من بلاغة القرآن ، ١٤٤ .

٦ سورة البقرة : الآية (٢٣٨) .

٧ مرجع رقم (٦) ص ١٤٤ ، ومرجع رقم (٢) ص ١٥٤-١٥٥ .

٨ مرجع رقم (٤) ص ٤٨٦ .

٩ العلوي ، الطراز ، ٣٢١ .

١٠ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٢٠٧ .

١١ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٣ .

١٢ سورة آل عمران : الآية (١٠٤) .

ثانية بالذكر تنويهاً بشأتهما الخاص ، قد أورد المعنى هنا في صورتين مختلفتين إيهاماً وإيضاحاً ليكون ذلك أوقع في نفس السامع (١) .

لقد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا خاصة لكونهما من الدعائم التي لا تصلح الأمة بدونهما ، ومن هذا قولنا : [إن فلسطين والأقصى حجة الله على أمتنا في هذا العصر] فقد ذكرنا الأقصى مرتين .
أولاً في (فلسطين) ؛ لأنها تشتمل عليه ، ومرة أخرى لما له من الشرف والفضل .

ويمكنك أن تروض نفسك لتأتي بأمثلة كثيرة لهذا النوع وما أظنك بحاجة لأن تُنبه إلى أن هذا السبب يختلف عن السبب الذي قبله أي : الإيضاح بعد الإبهام فهذا جاء بحرف العطف وليس الأول كذلك من جهة ، ومن جهة ثانية فهذا ذكر فيه العام أولاً والأول ذكر فيه المجرى (٢) .

ذكر العام بعد الخاص : والغرض من ذلك هو إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص بذكره مرتين ، مرة وحده ومرة مندرجاً تحت العام (٣) . أو للاهتمام بالخاص بذكره في عنوان عام بعد العنوان الخاص ، قال تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ } (٤) (٥) .
قال تعالى : { وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (٦) بعد قوله تعالى :

١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٢٠٧ .

٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٦ - ٤٨٧ .

٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢٠٨ .

٤ سورة النساء : الآية (١٦٣) .

٥ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٣ - ٢١٤ .

٦ سورة البقرة : الآية (١٥١) .

{ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } (١) وهو من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول (٢) . قال تعالى : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٣) .

فقوله : { مَنًّا وَلَا أَذَىٰ } من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول لأن الأذى يشمل المن (٤) .

قال تعالى : { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ } (٥) فقوله : { وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ } إطناب لورودها بعد قوله : { يُوفَّ إِلَيْكُمْ } الذي معناه يصلكم وافياً غير منقوص (٦) .

قال تعالى : { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (٧) هي أيضاً من باب ذكر العام بعد الخاص (٨) .

التكرير : المراد به تكرير المعاني والألفاظ ، وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مُردداً (٩) فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة ؛ فأما الذي يأتي لفائدة

^١ سورة البقرة : الآية (١٥١) .

^٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ١/١٠٧ .

^٣ سورة البقرة : الآية (٢٦٢) .

^٤ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/١٧١ .

^٥ سورة البقرة : الآية (٢٧٢) .

^٦ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/١٧٣ .

^٧ سورة آل عمران آية (٨٤) .

^٨ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/٢١٧ .

^٩ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢٠٨ .

فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ (إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب وليس كل إطناب تكريراً يأتي لفائدة (١) .

وهو قسمان أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ ، والذي يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه : [أَسْرِعْ أَسْرِعْ] والذي يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك : [أَطْعِنِي وَلَا تَعْصِنِي] فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية . ولا فائدة للتكرير إلا التوكيد (٢) .

دواعي الإطناب كثيرة منها :

تأكيد الإنذار : في قوله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (٣) فالتكرير في قوله : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ } وقوله : { فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُبُونَ } و { فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ } للتوبيخ والتفريع وليبان أن جريمتهم بلغت من القبح والشناعة الغاية القصوى (٤) .

قال تعالى : { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٥) فكرر { الْحَقَّ } لزيادة تقبيح المنهي عنه ، إذ في التصريح ما ليس في الضمير من التأكيد ، ويسمى هذا الإطناب أضعف من سواه (٦) .

قال تعالى : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ

١ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢٠ .

٢ ابن الأثير ، جواهر الكنز ، منشأة المعارف ، (د . ت) ، ٢٥٧ .

٣ سورة البقرة : الآية (٧٩) .

٤ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٧٣/١ .

٥ سورة البقرة : الآية (٤٢) .

٦ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٥٤ .

إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ } (١) قوله : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ } تكررت والغرض منها الإنذار ، ومثلها : { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ } (٢) قال أبو السعود : [تكرير للنكير لزيادة التقرير ، وقوله تعالى : { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ } (٣) .

قصد الاستيعاب : مثل قوله : [قرأت الكتابَ باباً باباً] .

استمالة المخاطب ليكمل تلقي الكلام ، قال تعالى : { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } (٤) الإطناب في قوله { رَبَّنَا } حيث كرر خمس مرات كل ذلك على سبيل الاستعطاف وتطلب رحمة الله بندائه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك والإصلاح وقوله تعالى : { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (٥) كرر لفظ ربنا لنفس السبب فقط هنا ثلاث مرات تضرعاً وزُلْفى .

وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدٌ ينتهي إليه ، ولا يؤتي على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوامِّ والخواصِّ .

^١ سورة الأعراف : الآيات (٩٧-٩٩) .

^٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٤٦٦ ، انظر تفسير أبو السعود ، ١٨٤/٢ .

^٣ سورة البقرة : الآية (٤٢) .

^٤ سورة آل عمران : الآيات (١٩١-١٩٤) .

^٥ سورة البقرة : الآية (٢٨٦) .

وقد وجدنا أن الله عز وجل ردّد ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيم ولوط ، وعادٍ وثمود ، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غبيّ غافل ، أو معاندٌ مشغول الفكر ساهي القلب (١) .

التعظيم والتفخيم ، قال تعالى : { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (٢) تصدير الجملتين بلفظ الجلالة { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ } { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ } للإيدان بفخامة الأمر .

قال تعالى : { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبٍ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (٣) وضع الاسم الجليل موضع الضمير { أَنَّ اللَّهَ } { مِّنْ ذُنُوبٍ اللَّهِ } لتربية الروعة والمهابة في النفوس وكذلك قوله تعالى : { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٤) ، وقوله تعالى : { وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٥) ، وقوله : { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٦) كرّر لفظ الجلالة هنا في الجمل الأربع وجميع هذه الآيات لإدخال الروعة وتربية المهابة في النفوس .

قال تعالى : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

^١ البيان ، والتبيين ، للحافظ ، ١-٢ ، ١٠٥/١ .

^٢ سورة البقرة : الآية (١٠٥) .

^٣ سورة البقرة : الآية (١٠٧) .

^٤ سورة البقرة : الآية (١٩٦) .

^٥ سورة البقرة : الآية (٢١١) .

^٦ سورة البقرة : الآية (٢٨٢) .

مَمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ { (١) التكرار في جمل للتفخيم والتعظيم (٢) .

وكذلك تكرر لفظ المشيئة في قوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (٣) حيث كرر جملة { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ } .

قال تعالى في شأن تعظيم الصلاة : { فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا } (٤) فكرر هنا لفظ الصلاة تنبيهاً وتعظيماً على فضلها. التنويه بشأن المتحدث عنه كقوله تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (٥) فكرر اسمه تعالى ظاهراً ومضمراً في ثمانية عشر موضعاً ، والإطناب بتكرير الصفات ، وقطعُ الجمل حيث لم يصلها بحرف العطف .

وعن الدين يقول تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ

^١ سورة آل عمران : الآية (٢٦) .

^٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/٢٥٥ - ٨٧ - ١٣١ - ١٣٥ - ١٧٩ - ١٩٧ .

^٣ سورة البقرة : الآية (٢٥٣) .

^٤ سورة النساء : الآية (١٠٣) .

^٥ سورة البقرة : الآية (٢٥٥) .

وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ
مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } (١) تنبيهاً بشأنه (٢) .

ومن التنويه بالشأن كقول النبي ﷺ (إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) (٣) .

وجاء في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّاكِعِينَ } (٤) تكرر لفظ {اصْطَفَاكِ} ولفظ {مَرْيَمُ} وذلك تنويهاً
لعظمتها (٥) .

قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } (٦) كرر لفظ
{الْأَنْفَالُ} توكيداً لها عند سؤالهم عنها . وقال تعالى : { وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٧) . الفائدة من التكرير هذا التذكير بالمنة الكبرى والنعمة
العظمية على الرسول ﷺ والمؤمنين (٨) .

١ سورة البقرة : الآية (٢٨٢) .

٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/١٦١ - ٣٠٤ - ١٦٤ - ١٧٩ .

٣ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٤ .

٤ سورة آل عمران : الآيتان (٤٢-٤٣) .

٥ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/٢٠٣ .

٦ سورة الأنفال : الآية (١) .

٧ سورة الأنفال : الآية (٦٣) .

٨ الصابوني ، صفوة التفاسير ، (ص/٥١٧) .

ومن التوكيد قول الشاعر المرقش :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جَائِعًا
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ وَالْحَرْقُ بَيْنَنَا
وَإِنِّي وَإِنْ كَلَّتْ قَلُوصِي لِرَاجِمٍ
أَفَاطِمَ إِنَّ الْحُبَّ يَغْفُو عَنِ الْقَلْبِي
أَلَا يَا أَسْلَمِي بِالكَوْكَبِ الطَّلَقِ فَاطِمًا
أَلَا يَا أَسْلَمِي ثُمَّ أَعْلَمِي أَنَّ حَاجَتِي
أَفَاطِمَ لَوْ أَنَّ النَّسَاءَ بَبْلَدَةٍ

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَاعِمًا (١)
مَخَافَةَ أَنْ تَلْقَى أَحَا لِي صَارِمًا (٢)
بِهَا وَبِنَفْسِي ، يَا فُطَيْمَ ، الْمَرَاجِمَا (٣)
وَيُجْشِمُ ذَا الْعَرَضِ الْكَرِيمِ الْمَجَاشِمَا (٤)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرَفُ النَّوَى مُتَلَئِمًا (٥)
إِلَيْكَ ، فَرُدِّي مِنْ نَوَالِكَ فَاطِمًا (٦)
وَأَنْتِ بِأُخْرَى لِاتَّبَعْتِكِ هَائِمًا (٧) (٨)

في هذه الأبيات فقط كرر اسم فاطمة خمسة مرات، ويقول عبيد بن الأبرص:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ (٩) *** يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

فجاءوا بالصفة وأرادوا توكيدها فكرهوا إعادتها ثانية فغيروا منها حرفاً

ثم أتبعوها الأولى كقولهم : (عطشان - نطشان) كرهوا قول : (عطشان -

عطشان) فأبدلوا من العين نوناً وكذلك قالوا : (حسن - بسن) و (شيطان -

ليطان) في أشباه كثيرة (١٠) .

^١ الخميص : الضامر من الجوع ههنا . والمعنى أستحيتها على كل حال .

^٢ الخرق : ما اتسع من الأرض . أي أستحيك أن تلقي مصارماً لي يسبقني عندك ويتقصني .

^٣ الرجم : الرمي . لراجم المراجم : يريد أنه يدفع بناقته وبنفسه في سرعة السير .

^٤ يغفو : يكثر . القلي : البغض . والمعنى أن الحب مع منع الحبوب وجفائه يزداد ويستحکم (أحب شيء

إلى الإنسان ما منع) . يجشم : يكلف على مشقة ، أي يحمله على ركوب الهول .

^٥ الطلق : الذي لا حرق فيه ولا قر ولا شيء يؤدي . متلائم متلاحم موصول . النوى : البعد .

^٦ معنى البيت التوال : العطاء وهو هنا الوصال . يدعوها لمعاودة وصاله .

^٧ يقول لو أن جميع النساء في بلد وأنت في بلد لاتبعتك لأنني أفضلك عليهن جميعاً .

^٨ ديوان المفضليات ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٨ م / ٢٤٣ (المرقش الأصغر) .

^٩ ديوان عبيد بن الأبرص ، دار صادر - بيروت ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) / ١٤٢ .

^{١٠} العسكري ، الصناعتين ، ٢١٣ .

طول الفصل : قال تعالى : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (١) ويأتي الفصل لطول بين الكلام . كذلك قوله تعالى : { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } (٢) فجاء لفظ (بإذن الله) دفعاً لتوهم الألوهية (٣) ، وذلك بطول الفصل .

قال تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٤) . وقال تعالى : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (٥) .

تناول كتاب (علم المعاني) قوله تعالى : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ

^١ سورة النحل : الآية (١١٠) .

^٢ سورة آل عمران : الآية (٤٩) .

^٣ الصابوني ، صفوة التفاسير ، (٢٠٣/١) .

^٤ سورة الأنفال : الآية (٧٤-٧٥) .

^٥ سورة التوبة : الآيتان (١٩-٢٠) .

عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١) ، فكرر لفظ (لا تحسبنهم) لطول الفصل بين الأول ومتعلقه وهو : (مفازة من العذاب) وخشية أن يكون الذهن قد غفل عما ذكر أولاً .

قول الحماسي في طول الفصل :

وإن امرأ دامت موثيق عهده *** على مثل هذا إنه لكريم (٢)

كرر (إنه) لطول الفصل بين اسم إن وخبرها (٣) (الأولى) .

قال تعالى : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (٤) .

ومن أغراض التوكيد أيضاً تعدد المتعلق وأضرب بذلك مثلاً عسى أن يكون صحيحاً قوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٥) فقد كرر لفظ (قل يا أهل الكتاب لِم) زيادة في النكاية والتفريع لهم وهول العذاب .

قال تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا } (٦) ككرر لفظ (ألا تقسطوا) (ألا تعدلوا) (ألا تعولوا) وكلها بمعنى ألا تجوروا وتظلموا وذلك للطفه سبحانه وتعالى بهم (٧) .

^١ سورة آل عمران : الآية (١٨٨) .

^٢ ديوان الحماسي .

^٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢٠٩ .

^٤ سورة النحل : الآية (١٦) .

^٥ سورة آل عمران : الآيتان (٩٨-٩٩) .

^٦ سورة النساء : الآية (٣) .

^٧ انظر تفسير الطبري ، ص٧٧ ، وصفوة التفاسير ، ٢٥٩/١ ، وتفسير ابن كثير .

قد يكون الغرض من تعدد المتعلق تكرار القول عقيب كل نعمة أو بين نعمة وأخرى وقد يكون ليس بنعمة أي بين آيات العذب مثل قوله في الآيات السابقة بدءاً فنقول إن الوعيد والعذاب وإن لم يكونا من النعم فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى على عباده (١) .

وقد جاء عند أهل الجاهلية قول مهلهل وقد كرر قوله :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُتَيْبٍ (٢)

في أكثر من عشرين بيتاً من قصيدته ، وقول الحارث بن عباد وقد كرر قوله :

قرباً مربط النعامة مئى (٣)

أكثر من سابقه ؛ لأنهما رأيا الحاجة ماسة إلى التكرير ، والضرورة داعية إليه ؛ لعظم الخطب وشدّة موقع النكبة (٤) والفجيجة (٥) .

التحسر كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معن أنت أول حفرة *** من الأرض خطت للسماحة موضعاً
ويا قبر معن كيف وارىت جوده *** وقد كان منه البر والبحر مترعاً

فالغرض من تكرير (يا قبر معن) هو إظهار الأسى والتحسر على معن فالإطناب بالتأكيد له أغراض أخرى غير التي ذكرناها سابقاً في الخطابة وفي مواطن الفخر والمدح والإرشاد والتلذذ والاستيعاب (١) .

^١ القزويني ، الإيضاح ، ١١٣ .

^٢ ديوان مهلهل بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ص٣٩-٤٢ ، اثني عشر مرة فقط وفي مهذب الأغاني (٢٠٢/١ : ٢٠٣) .

^٣ المهلهل سيد ربيعة ، محمد فريد أبو حديد ، ١٣٤-١٣٦ ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م .

^٤ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٤ .

^٥ العسكري ، الصناعتين ، ٢١٣ .

اعلم أن التكرير أسلوب من أساليب العربية يؤتى به لتأكيد القول
وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك ، ومع هذا كله فإننا نستبعد وجود التكرير
في كتاب الله تعالى (٢) .

٥. الإيغال :

لغة : البعد ، يقال أوغل في المكان إذا ذهب فيه بعيداً . والمعنى الاصطلاحي
الذي قصده علماء البلاغة لوحظ فيه هذا المعنى اللغوي ، فقد عرفوه : بأنه
ختم البيت بكلمات يتم المعنى بدونها ، ولكن يؤتى بها لنكتة وغرض بلاغي .
فالإيغال إذن هو انتهاء الشاعر من المعنى الذي أراده قبل انتهاء القافية،
فيأتي بالقافية فتفيد معنى جديداً فكأنه أبعد في قوله ولم يقف عند معناه الذي
أراده ، ولهذا سموه بالإيغال ، وأنت ترى تعريفه أنه خاص بالشعر ولكن قوماً
لم يقصروه على الشعر ، بل عاماً في الكلام كله (٣) .

جاء في الطراز أن الإيغال في أصل اللغة هو سرعة السير ، ويستعمل
في المبالغة في الشيء ، يقال فلان يُوغِلُ في نظره وفي قراءته أي يبالغ فيهما
وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن الإتيان في مقطع البيت وعجزه أو في
الفقرة الواحدة بنعتٍ لما قبله مفيد (٤) وكلا المعنيين البعد والسير السريع
صحيح (٥) .

ومثال ما جاء على سبيل المبالغة في التشبيه قول الخنساء ترثي أخيها صخر :
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ *** كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ (٦)

١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢٠٩ .

٢ انظر نظرات في إعجاز القرآن .

٣ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، (٤٨٨ : ٤٨٩) .

٤ العلوي ، الطراز ، ١٣١ .

٥ انظر مختار الصحاح للرازي ، ٦٤٣ .

٦ ديوان الخنساء ، بيروت دار صادر ، ١٩٦٣ م ، ص ٤٩ .

فقولها : [رأسه نار] من الإيغال الحسن لأنها لم تكتف بكونه جبلاً
عالياً مشهوراً ، بل زادت لكثرة إيغالها في مدحه وشهرته بقولها : [في رأسه
نار] لِمَا فِيهِ زِيَادَةُ الظهور والانكشاف ؛ لأن الجبل ظاهرٌ فكيف به إذا كان
في رأسه نار ، والنار ظاهرة فكيف حالها إذا كانت في رأس جبل (١) ، ومثله
قول مروان بن أبي حفصة :

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُّوا (٢)

فقوله : [وأجزلوا] إيغال أعطى البيت قافيته وأضاف إلى معناه التام
معنى جديداً هو أنهم عندما يعطون يعطون الطيب الجزيل (٣) .

وفي تحقيق التشبيه قول امرؤ القيس :

كَأَنَّ عَيْونَ الوَحشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحِلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ (٤)

حيث تحدث عن كثرة ما يصطادون من الطباء وبقر الوحش فيشبهه
عيونها بعد موتها حول خبائهم التي يقطنون فيها لكثرتها بالخرز وقد انتهى
التشبيه هنا ولكن القافية لم تنته بعد فالقصيدة بائية ففطن امرؤ القيس لتحقيق
هذا التشبيه فأكملة بقوله : [الذي لم يثقب] وذلك لفائدة تحقيق التشبيه أي
تحقيق المساواة التامة بين المشبه والمشبه به ، فالعيون تشبه الخرز ، ولكن لما
كان الخرز يثقب غالباً وكانت العيون لا تثقيب أراد الشاعر أن يبين المساواة

^١ العلوي ، الطراز ، ١٣/٣ .

^٢ ذخائر العرب ، شعر مروان بن أبي حفصة ، دار المعارف ، ط٣ ، ص ٨٨ .

^٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٠ .

^٤ ديوان امرؤ القيس ، دار صادر ، (د.ت) ، ٧٠ . الجزع : خرز أسود يخالطه بياض شبه عيونها
بالخرز، وجعله غير مثقب . أراد عيونها وهي ميتة ، وقد انقلبت سواد فيرى سواد وبياض ، ص ٧٠ .

وهذا البيت من بائيته التي يعارض فيها علقمة الفحل ومبدؤها :

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلِيٍّ أُمَّ جُنْدَبٍ *** نُقِضَ لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَدَّبِ

ديوانه ص ٦٤ .

التامة بين المشبه والمشبه به فحتم البيت بقوله : [لم يثقب] فهذه الزيادة لم تأت عبثاً وإنما جاءت لفائدة تدل على مساواة المشبه للمشبه به ، لذلك كان الإيغال يدل على قدرة الشاعر وبصره في إيراد المعاني ، لذا وجدنا إعجاب الكثيرين بمثل هؤلاء الشعراء ، فهذا الرشيد كان كثير الإعجاب بقول مسلم بن الوليد :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُرَابَةٌ شَارِبٍ *** تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ (١)

وكان يقول : [قاتله الله أما كفاه أن يجعله مقيداً حتى يجعله في وحل] وقد سئل الأصمعي من أشعر الناس ؟ فقال : (ينقصني كلامه قبل انقضاء القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى) قيل : (نحو من ؟) قال : ذو الرمة حيث يقول :

قف العيس في أطلال مية فأسأل *** رسوما كأخلاق الرداء المسلسل (٢)

فتم كلامه بالرداء ثم قال المسلسل فزاد به شيئاً ثم قال : أظن الذي يجدي عليك سؤالها *** دموعاً كتبذير الجمان المفصل فتم كلامه بالجمان ، ثم قال : المفصل فزاد شيئاً قيل : ونحو من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليفلقها *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٣)

^١ ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري الشهير بصريع الغواني ، مطبعة بريل ، ١٨٧٥م ، ٣٦ .

^٢ الرواية في الديوان :

قف العنس في أطلال مية فأسأل *** رسوما كأخلاق الرداء المسلسل
أظن الذي يجدي عليك سؤالها *** دموعاً كتبذير الجمان المفصل

العنس : الناقة الشديدة . الرسوم : الآثار بلا الأشخاص . المسلسل : الذي قد تسلسل من الأخلاق ، ثوب مسلسل : رقاً من البلى ، وليسته حتى تسلسل .

ديوان ذي الرمة : غيلان بن عقبة العدوي ، ت ١١٧هـ ، دمشق ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ١٤٥١/٣ .

^٣ ديوان الأعشى ، صادر بيروت ، ١٩٦٦م ، الأعشى : ميمون بن قيس ، ت ٧هـ ، ص ١٤٩ .

فتم كلامه ببيضاها فلما احتاج إلى القافية قال : [وأوهى قرنه الوعل
فزاد معنى] .

والذين ذهبوا إلى أن الإيغال يكون في غير الشعر مثلوا له بقوله سبحانه
وتعالى : { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ *
اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } (١) فإن الرسل لا يكونون
إلا مهتدين وقد جيء بهذه الجملة الكريمة حثاً على إتباع الرسل ، وعلى هذا
يمكننا أن نمثل للإيغال من غير الشعر بقولنا : (جدير بنا أن ننهج نهج الكرام
الشهداء ، فانهجوا نهجهم نهج الذين لم يطلبوا منكم ثمناً ، ولم ينسوا أن لهم
ديناً ووطناً ، وهم لأنفسهم باذلون ، وبدمائهم مضحون) فالجملة الأخيرة
إيغال على رأي هذا الفريق الآخر ، لأن الشهداء لا يكونون إلا كذلك (٢) .
٦. الاحتراس أو التكميل :

الاحتراس يسمى التكميل أحياناً وأحياناً يطلق عليه لفظ الاحتراس
نفسه فهو من الناحية اللغوية لا يبعد عنها اصطلاحياً فالحارس والحراسة أصل
المادة المحافظة على الشيء (٣) وكذلك أمر التكميل ، والحق أن هناك صلة
وثيقة بين المعنى الاصطلاحى الذي يقصده علماء البلاغة ، وبين المعنى اللغوي
، فإذا كانت مادة الاحتراس تدل على المحافظة فإن ما نقصده هنا كذلك ،
فالاحتراس المحافظة على المعنى من كل ما يفسده ويغيره ، وهذا ما ترشد إليه
عبارة القوم فلقد قالوا في تعريفه : (هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف
المقصود بما يدفعه) ومعنى هذا التعريف أن يدل الكلام على معنى لا يقصده

^١ سورة يس : الآيتان (٢٠-٢١) .

^٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٨٩-٤٩١ .

^٣ انظر مختار الصحاح ، للفخر الرازي ، ص ١١٤ .

المتكلم فيأتي بما يزيل هذا الفهم ويبدد هذا الوهم (١) . وقال صاحب (الإيضاح) : (هو ضربان : ضرب يتوسط الكلام وآخر في آخره) (٢) ، أما صاحب (فنون البلاغة) زاد عليه ضرب ثالث وهو في أول الكلام وقال : (إن الاحتراس أو التكميل له محل من الإعراب) (٣) .

مثال ما يأتي في أول الكلام كقول المتنبي :

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلَتْ بَرِّكَ بِي *** وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأَسْوَدَ بِالْجَيْفِ (٤)

المعنى يقول : قبلته اضطراراً لا اختياراً ، فالأسد يرضي بأكل الجيف

إذا لم يجد غيرها .

مثال ما يأتي في وسط الكلام قول طرفة بن العبد يمدح قتادة بن مسلم

الحنفي على كرمه وصنيعه من قصيدته الميمية ومطلعها :

أبلغ قتادة غير سائله *** نيل الثواب وعاجل الشكم

فسقى ديارك غير مفسدها *** صوب الربيع وديمة قهمي (٥)

في البيت دعاء بكثرة الخير وبنزول المطر الكثير ، ولكن هذا المطر

الكثير قد يكون سبباً في الفساد والإغراق ؛ فاحترسه طرفة حتى لا يؤدي

كلامه إلى هذا المعنى بقوله (غير مفسدها) أي : أن هذا المطر الذي يسقي

ديارك لا فساد فيه ، (فغير مفسدها) جملة حالية (وصوب) فاعل . أي سقى

^١ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٤-٤٩٥ .

^٢ القزويني ، الإيضاح ، ١١٥ .

^٣ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٦ .

^٤ ديوان المتنبي ، دار المعرفة ، (د ، ت) ٢٨١/١ .

^٥ الرواية في الديوان لطرفة :

فَسَقَى بِلَادِكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا *** صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةً قَهْمِي

صوب الربيع : صوب المطر ووقعه . والديمة المطر الدائم . الديوان : عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ،

١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ١٦٢ .

المطر الكثير ديارك حال كونه غير مفسدها . ومثله أيضاً قول ابن المعتز يتحدث عن فرسه :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنَا *** فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ (١)
فهو يخبرك أنه صبَّ على هذه الفرس سياطه وأنت تعرف إن السياط
إنما تصب على الفرس البليد ، إذ الفرس الكريم لا يحتاج إلى شيء من ذلك
ألا ترى أن أم جندب حكمت لعلقمة على زوجها امرئ القيس لأنه جعل
فرسه يطير بدون ضرب ولا كذلك امرؤ القيس . ولكن ابن المعتز أدرك أن
كلامه يوهم غير المقصود أراد أن يحترس بما يزيل هذا الوهم ، ويبدد هذا
الفهم ، فجاء بكلمة (ظالمين) فهو يقول : عن السياط التي صبت على هذا
الفرس لا لبلادة فيه إنما ظلم فكانت كلمة ظالمين احتراساً من أن تفهم معنى
غير مراد (٢) .

ومثله أيضاً قول نافع الغنوي :

رجال إذا لم يقبل الحق منهمو *** ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب
فقوله (ويعطوه) احتراس لولاه لفهم أن هؤلاء الرجال يلجئون إلى
سيوفهم لمجرد قبول الحق منهم ، على حين أن المعنى بالاحتراس يفيد أنهم
لا يفرعون إلى سيوفهم إلا في حالة عدم قبول الحق منهم وامتناع العدو عن
إعطائهم إياه . والفرق كبير بين المعنيين . ومنه أيضاً قول صفي الدين الحلبي :
فَوْفِي غَيْرِ مَأْمُورٍ ، وَعُودَكَ لِي *** فَلَيْسَ رُؤْيَاكَ أَضْعَافًا مِنَ الْحُلْمِ (٣)
فالاحتراس في (غير مأمور) فإن لفظة (وفني) في البيت فعل أمر ،
ومرتبة الأمر فوق مرتبة المأمور فأحترس بقوله : (غير مأمور) (١) .

^١ ديوان ابن المعتز ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ط ١/٥٥٣ .

^٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ص ٤٩٥ .

^٣ ديوان صفي الدين الحلبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م ، ٧٠١ .

أما ما جاء من الاحتراس في آخر الكلام مثلوا له بقوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٢) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل :

{ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } علم أنها منهم تواضع لهم ولذا عدى الذل بعلي لتضمينه معنى العطف : كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعدية بعلي ؛ لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم علي المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم (٣) وما يؤيد قولنا هذا قوله تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } (٤) .

وما جاء شعراً قول السموأل بن عادياء :

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ *** وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ (٥)

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم فربما علق بالوهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم .

٧. الاعتراض :

١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١١ .

٢ سورة المائدة : الآية (٥٤) .

٣ القزويني ، الإيضاح ، ١١٥ .

٤ سورة الفتح : الآية (٢٩) .

٥ الرواية في الديوان :

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ *** وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

الديوان ص ٩١ ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

هو من أسباب الإطناب أيضاً وهو أن يؤتى في (أثناء الكلام) أو (بين كلامين متصلين معنى) بجملة أو أكثر (لا محل لها من الإعراب) (لنكتة سوى دفع الإيهام) ، (وهو من دقائق البلاغة وسحر البيان) .

محتززات التعريف : أثناء الكلام خرج الإيغال لأنه في الآخر . أو (بين كلامين متصلين معنى) : بأن يكون الثاني بياناً للأول أو تأكيداً أو بدلاً منه .
(لا محل لها من الإعراب) : خرج التتميم لوجود الإعراب فيه .
(سوى دفع الإيهام) : خرج التكميل .

(دقائق البلاغة وسحر البيان) : لما فيه من حسن الإفادة مع مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الإفادة ، فهو كالحسنة تأتي من حيث لا ترتقب (١) .

الجملة المعترضة قد تأتي بين الفعل والفاعل ، والفعل والمفعول أو المبتدأ والخبر أو الموصوف والصفة مثل : (أحفظ - وفقك الله - سورة البقرة) وقد تأتي في غير هذه المواضع .

وهذا كله مقرر في علم النحو ، لكن أرباب البيان وعلماء البلاغة يتناولون هذا الموضوع من زاوية أخرى ، من الزاوية التي تعنيهم ، فيبحثون عن الأغراض البلاغية التي تأتي من أجلها الجملة المعترضة (٢) .

قال صاحب الإيضاح في تعريف (فائدة سوى دفع الإيهام) إن من هذا يفهم : (أن الإطناب بالاعتراض يؤتى به في الكلام لفائدة أو لغرض يقصد إليه البليغ) (٣) وللاعتراض فوائد وأضرب بلاغية كثيرة منها :

١- التنزيه والتعظيم : قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ } (١) (سبحانه) جملة اعتراضية

^١ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٦ .

^٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، (٥٠٠-٥٠١) .

^٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٢ .

وفائدتها بيان بطلان دعوى الظالمين الذين زعموا لله الولد (٢) تنزهه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

قال تعالى : { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } (٣) تعظيم ، لبيان التحدي في الماضي والحاضر والمستقبل وبيان العجز التام في جميع العصور والأزمان (٤) يفيد استحالة معارضة القرآن الكريم والآيات بسورة من نوعه (٥) أو حتى آية واحدة أو جزء منها .

قال تعالى { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } (٦) جملتان معترضتان لتعظيم الموضوع ورفع منزلة المولود (٧) .

الدعاء : قال تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } (٨) (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل المذموم والفقر والنكد وابتعدوا من رحمة الله بسبب تلك المقالة الشنيعة (٩) [تعالى الله من ذلك علواً كبيراً] .

ومن الدعاء قول أبو الطيب المتنبّي :

١ سورة البقرة : الآية (١١٦) .

٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٩٢/١ .

٣ سورة البقرة : الآية (٢٤) .

٤ الصابوني صفوة التفاسير ، ٤٣/١ .

٥ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٥ .

٦ سورة آل عمران آية (٣٦) .

٧ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٢٠٠/١ .

٨ سورة المائدة آية (٦٤) .

٩ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٣٥٢/١ .

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ *** يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَاِنْيَا (١)
فقوله [وحاشاك] : اعتراض حسن في موضعه ، والواو في مثله اعتراضيه
ليست عاطفة ولا حالية (٢) .

وقول عوف بن محلم الشيباني :

أَنْ الثَّمَانِينَ - وَبَلَّغْتَهَا *** قَدْ أَحْوَجْتَ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ (٣)
إذ الأصل في الكلام أَنَّ الثَّمَانِينَ سنة بلَّغْتَهَا أَحْوَجْتَ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ
ولكنه جاء بقوله : [بلَّغْتَهَا] ، جملة اعتراضيه دعاء لمن يخاطبه يقول : [أرجو
لك أن تبلغ هذا السن . وأيضاً قول عباس بن الأحنف :

إِنْ تَمَّ ذَا الْهَجْرِ يَا ظَلُومَ (وَلَا *** تَمَّ) فَمَا لِي فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ (٤)
فجملة (ولا تم) معترضة ، وغرض الشاعر منها : المسارعة إلى دعاء
الله بالألّا يقدر وقوع هذا الهجر والتقاطع بينه وبين حبيبته (٥) .

التنبيه : ويكون تنبيه المخاطب على أمر : قال تعالى : { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } (٦) أبرز
الفاعل في قوله { إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ثم قال : { وَأَعْلَمُ

١ ديوان أبو الطيب المتنبي ، (د. ن) ، ص ٤٤٤ .

٢ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٧ .

٣ ديوان .

٤ الرواية في الديوان :

إِنْ دَامَ ذَا الْهَجْرِ يَا ظَلُومَ وَلَا *** دَامَ فَمَا لِي فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ

ديوان العباس بن الأحنف ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، ص ٥٠ .

٥ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٥٩١ ، ٥٠١-٥٠٢ .

٦ سورة البقرة آية (٣٣) .

مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ { للاهتمام والتنبيه على إحاطة علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء (١) .

وجاء التنبيه على أمر من الأمور شعراً كقول أبي خراش الهذلي يذكر أخاه عروة :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِيًا وَذَلِكَ رُزْءٌ - لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تُحْسِبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي - يَا أُمَيْمَ - جَمِيلُ (٢)

ففي البيت الأول اعترض الشاعر بين الصفة والموصوف بقوله : [لو علمت] والغرض من الاعتراض هنا التنبيه على عظم المصاب وشدة تأثيره في نفسه ؛ وذلك لأن مفعول (علمت) محذوف تقديره : لو علمت مبلغ هذا الرزء وعظيم تأثيره في نفسي . وفي البيت الثاني اعترض بجملة النداء (يا أميم) بين اسم (لكن) وخبرها لتنبية المخاطبة إلى جمال صبره . وقد أنشد في ذلك أيضاً أبو علي الفارسي قوله :

وَأَعْلَمُ (فَعَلِمَ الْمَرْءُ يَنْفَعُهُ) *** أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلَّ مَا قُدِّرَا (٣)

فقوله : [فَعَلِمَ الْمَرْءُ يَنْفَعُهُ] جملة اعتراضية بين الفعل (أعلم) ومفعوله . وقد أتى الشاعر بهذا الاعتراض لينبه على فضل العلم وعظيم نفعه للإنسان . والمعنى هنا أن المقدور آتٍ لا محالة وإن وقع فيه تأخير ، والفاء السابقة للجملة الاعتراضية هي فاء الاعتراض . ومنه قول كثير عزة :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ (وَأَنْتَ مِنْهُمْ) *** رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا (٤)

١ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٤٩/١ .

٢ ديوان الهزليين ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ، ١١٦/٢ .

٣ ديوان أبي علي الفارسي .

٤ ديوان كثير عزة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، هناك رواية (تعلموا منك العطايا) .

فالإطناب بالاعتراض هنا هو (وأنتِ منهم) وقد بادر به الشاعر للتنبيه على بخل المخاطبة وأنّ الباخلين وهي واحدة منهم جديرون بأن يتعلموا منها المطال (١) .

المطابقة مع الاستعطاف : كقول أبي الطيب :

وحقوق قلب لو رأيت لهيبه *** يا جنتي لرأيت فيه جهنما (٢)

فقوله : [يا جنتي] اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف (٣) .

زيادة التأكيد : قال تعالى : { وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ } (٤) .

{ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ } جملة اعتراضيه إيجاباً بهداية الله للهدى وتذكيراً لحقه العظيم في الهداية ، يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه كما هدى المؤمنين (٥) .

التحسر : قال تعالى : { وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } (٦) قوله : { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ } جملة اعتراضيه للتنبيه على ضعف إيمانهم وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده ، فهو يتمنى أن لو كان مع المؤمنين لا من أجل عزة الإسلام بل

^١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٣-٢١٤ .

^٢ في الديوان :

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ *** يَا جَنَّتِي لَطَنَّتْ فِيهِ جَهَنَّمَا

ديوان أبي الطيب المتنبّي ، طبع في مدينة برلين سنة ١٨٢١م ، ١٧ .

^٣ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٥٠٢-٥٠٣ .

^٤ سورة آل عمران : الآية (٧٣) .

^٥ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٢١٠/١ .

^٦ سورة النساء : الآية (٧٣) .

طلباً للمال وتحصيلاً للحطام (١) وجاء شعراً قول إبراهيم بن المهدي في رثاء
ابنه :

وإني (وإن قُدمتَ قبلي) لعالم *** بأني (وإن أُخِّرتُ) منك قريب (٢)
ففي البيت إطناب بالاعتراض في كل من شرطيه ، وهو في الشطر
الأول (وإن قدمت قبلي) وهو في الثاني (وإن أخرت) ، والغرض البلاغي
الذي قصد إليه الشاعر من وراء هذين الاعتراضين هو إظهار الأسى والتَّحسُّر
على أن الموت سبق إلى ولده (٣) .

^١ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٢٨٩/١ .

^٢ لم أعثر على ديوانه .

^٣ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٤ .

٧. بيان السبب لأمر فيه غرابة كقول ابن ميادة :

فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة *** ولا وصله يبدو لنا فنكارمه (١)

فقوله : [وفي اليأس راحة] معترضة لبيان سبب طلبه لهجر الحبيب وهذا أمر غريب (٢) .

التقرير في نفس السامع : قال تعالى : { وَإِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } (٣) قوله : { وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } جملة اعتراضية بين قوله : { فَادَّارَأْتُمْ } وقوله : { فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ } والجملة المعترضة بين ما شأنهما الاتصال تجئ تحلية يزداد بها الكلام البليغ حسناً ، وفائدة الاعتراض هنا إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستجلي لا محالة (٤) .

والتقرير : أن تدافع بين إسرائيل في قتل النفس ليس نافعاً في إخفائه وكتمانه ؛ لأن من لا تخفى عليه خافية مظهره لا محالة (٥) .

قال تعالى : { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٦) الجملة الاعتراضية { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ } وفائدتها بيان بطلان الدعوى وأنها دعوى كاذبة .

ومن أمثلة الاعتراض قوله : { فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِّثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ

^١ الرواية الأخرى :

فَلا صرْمُهُ يبدو وفي اليأس راحة *** وصلُّهُ يَصْفُو لنا فنكارمُهُ

شعر ابن ميادة ، مطبوعات اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ٢٢٥ .

^٢ مرجع رقم (١) ، ص ٥٠٣ .

^٣ سورة البقرة : الآية (٧٢) .

^٤ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٦٨/١ - ٦٩ .

^٥ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٧ .

^٦ سورة البقرة : الآية (١١١) .

{ إِلَّا قَلِيلًا } (١) ، جملة { بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } ردًّا لمزاعمهم الفاسدة قال تعالى : { قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٢) ، جملة { أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا } جملة اعتراضيه لبيان فضل الله على عباده الصالحين (٣) .

الاعتراض قد يأتي في أكثر من جملة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :
 { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ } (٤) فقلوه : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } جملتان اعتراضيتان بين قوله : { فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } وقوله : { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } (٥) فإن قوله : { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ } بيان لقوله : { فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } (٦) ، يعني أن المأتي الذي أمركم به هو مكان الحرث دلالة على أن الغرض الأصلي في الآيتان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيث يأتي فيه هذا الغرض وهو مما جاء في أكثر من جملة .

من الناس من لا يقيّد فائدة الاعتراض بما ذكرناه ، بل يجوز أن تكون دفع توهم ما يخالف المقصود وهؤلاء فرقتان ، فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنيّ ، بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنيّ وبهذا يشعر كلام

١ سورة النساء : الآية (١٥٥) .

٢ سورة المائدة : الآية (٢٣) .

٣ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١/٨٩ ، ٣١٨ ، ٣٣٧ .

٤ سورة البقرة : الآيتان (٢٢٢ - ٢٢٣) .

٥ سورة البقرة : الآية (٢٢٣) .

٦ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٥٠٤ .

(الزمخشري) في مواضع من (الكشاف) - فليراجع هناك - فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ، ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً في أحد الموقعين ومن التكميل ما كان واقعاً في أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر وإما بغير ذلك كقولهم [رأيته بعيني] (١) .

فالإطناب بالاعتراض كما يبدو من الأمثلة وعلى اختلاف أغراضه لا يُكْمَل المعنى فحسب ، وإِنَّمَا يضفي عليه ظلالاً من الحسن ، ويمكن إدراك هذه الحقيقة في أي مثال من هذه الأمثلة إذا ما قارنا معناه بالاعتراض ومعناه مجرداً منه (٢) . كما لا يفوتنا أن نلاحظ أن المثال قد يشترك فيه غرضان : أي يكون مثال والغرض منه التأكيد والتفصيل أو ما أشبه ذلك ولم أسق تلك الأمثلة وأفضل فيها إلا لتقريبها للأذهان .

التتميم : وهو تفعيل من قوله تَمَّمَهُ إذا أكمله ، وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن تقييد الكلام بفضلةٍ لقصد المبالغة ، أو للصيانة عن احتمال الخطأ ، أو لتقويم الوزن ، فهذا تقرير معناه في مُراد علماء البلاغة ، ثم يَرِدُ على أوجه ثلاثة ، إمَّا للمبالغة ، وإمَّا للصيانة ، وإمَّا لإقامة الزنة (٣) . أمَّا في (الإيضاح) فحاء تعريف التتميم بأنه : هو أن يؤتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة مثلاً (٤) . هذا ما قالوه في تعريفه وقد عرفنا من قبل أن الاحتراس إنما يؤتي به إذا كان الكلام يوهم غير المقصود

١ القزويني ، الإيضاح ، ١١٧-١١٨ .

٢ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٥ .

٣ العلوي ، الطراز ، ١٠٤ .

٤ مرجع رقم (١) ، ١١٦ .

أما التتميم فليس كذلك ، فالكلام هنا لا يوهم شيئاً آخر غير الذي يريده المتكلم ، وإنما يكون التتميم لفائدة بيانية ، ونكتة بلاغية .

التكميل والاحتراس إذن فيما يوهم خلاف المقصود ، والتتميم ليس كذلك . بقى أن يقال فما معنى الفضلة في هذا التعريف ؟ ونجيبك على هذا التساؤل بأن الكلام ينقسم إلى قسمين : عمدة : وهو ما كان ركناً في الجملة كالمسند إليه والمسند ، وهما يعبر عنهما في علم النحو بالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ، وفضلة : هي ما ليس كذلك كالحال والتمييز والجار والمجرور والظرف . ومن هنا تعرف أن التتميم لا يكون بجملة مستقلة أولاً ، ولا يكون بركن رئيس في الجملة ثانياً ؛ لأن الفضلة لا تشمل هذين الأمرين . والأمثلة ستوضح ذلك وتبينه خير بيان إن شاء الله تعالى .

قلنا أن التتميم إنما يكون لنكتة بيانية كالمبالغة ومثلوا له بقوله سبحانه وتعالى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ } (١) فقوله سبحانه : { عَلَى حُبِّهِ } له معنيان ، ذلك لأن الضمير إما أن يعود إلى الله تبارك وتعالى أي على حب الله تبارك وتعالى فهم يعطون المال من أجل الله وحده لا رياء ولا سمعة وعلى هذا المعنى لا يكون قوله { عَلَى حُبِّهِ } من التتميم في شئ ، لأنه من تمام معنى الآية الكريمة ، وإما أن يعود الضمير على المال أي يؤتون المال على حبهم له والتتميم يتم على هذا التفسير ، لأن المعنى انتهى عند قوله تعالى : { وَآتَى الْمَالَ } ثم قال : { عَلَى حُبِّهِ } ، وهذه فضلة ؛ لأنها ليست جملة مستقلة ، وليست ركناً رئيساً في الجملة وجيء بها للمبالغة فهم يعطون المال رغم حبهم له (٢) وكذا قوله

^١ سورة البقرة آية (١٧٧) .

^٢ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٨-٤٩٩ .

تعالى : { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (١) .

جاء في قول زهير في مدح هرم بن سنان :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا *** يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا (٢)

فقوله [على عِلَاتِهِ] (٣) تميم للمبالغة ، فوَقعت في غاية الحسن والرشاقة كما ترى ، والمراد بقوله [على عِلَاتِهِ] أي على حالاته وكقوله يمدحُ هَرِمًا أيضًا إنَّ الكريم على عِلَاتِهِ هَرِمٌ ، فهذه اللفظة حصل من أجلها مبالغة في المدح لا يخفى (٤) ، فأنت ترى هذا التتميم الجيد وهو فضلة أولاً والمعنى يتم بدونه ثانياً ، ولا يوهم خلاف المقصود ثالثاً وهذا هو التتميم . ونكتة ظاهرة فهو يقول لك : إن السماحة والندى طبيعة فيه ، هذا إن تلقه على عِلَاتِهِ ، فكيف إذا لقيته وكان متأهباً للقائك مستعداً له !؟

وقول الآخر :

إني على ما ترين من كبري *** أعرف من أين تؤكل الكتف

فقوله [على كبري] تميم لاستيفائه الشروط الثلاثة المتقدمة ، فهو يقول : إنني أعرف مداخل الأمور رغم هذا السن الذي أنا فيه (٥) .

١ سورة آل عمران : الآية (٩٢) .

٢ جاءت الرواية هكذا في شرح ثعلب : يقول : أن تلقه على قلة مال أو عدم ، تجده سمحاً كريماً ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، ص ١١٦ ، أما الرواية في الديوان :

إِنْ تَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا *** تَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

الديوان دار صادر بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ص ٤٣ .

٣ عِلَاتِهِ : العلة هي المرض والحدث الذي يشغل صاحبه ويعوقه عن أمر ما ، انظر مختار الصحاح للرازي ص ٣٩٧ .

٤ القزويني ، الإيضاح ، ١٠٤-١٠٥ .

٥ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٩-٥٠٠ .

وقد يكون المقصود بالفضلة نكتة تفيد الصيانة عن احتمال الخطأ فتزد رافعة له ومثاله ما قاله طرفة :

فَسَقَى دِيَارِكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا *** صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

فقوله [غير مفسدها] ، فضلة واردة لرفع الإيهام الحاصل ممن يدعو على الديار بكثرة المطر ليكون مفسداً لها ، فانظر إلى موقع هذه اللفظة ما أرقه وما ذاك إلا من أجل ما اشتملت عليه من هذا الاحتراز ، وهكذا قول من قال :

لَئِنْ كَانَ بَاقِي عَيْشِنَا مِثْلَ مَا مَضَى *** فَلَلْحُبُّ إِنْ لَمْ يُدْخِلِ النَّارَ أَرْوَاحُ

فقوله : [إن لم يدخل النار] معناه سلامة العاقبة ، وأراد أن أول الحب كان فيه بلهنية وخفض عيش ولذة وراحة ، فإن كان آخره مثل أوله فالحب لا محالة أحمد عاقبة لكن بشرط أن تكون العاقبة فيه سليمة عما يشوبها ؛ لأن الحب الأكثر فيه أن يكون خطأ تكاد أن تكون عقباه وخيمة يدخل بسببها النار ، فإذا كان هذا سليمة عواقبه فهو أروح ، يعني مشتهد طيب لسلامته عما لا يكاد ينفك عنه ، والفضلة قد تكون واردة على جهة استقامة الوزن ولا يحتاج إليها في المبالغة ولا للاحتراز ومثلها قول المتنبي :

وَخُفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ هَيْبَةَ هَيْبِهِ *** يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فإن المعنى تام ، لكنه لما كان الوزن غير مستقيم لو أنخرم عن قوله : [يا جنيتي] أتى بها من أجل استقامة الزنة لا غير ، فحصل طباق وحسن موقع لا يوجد مع حذفها ، ولو قال : عَوْضِهَا [يا منيتي] لا ستقام الوزن ، لكن لا طباق فيها ولا يكون لها موقع حسن^(١) .

وأعلم أن المبالغة في التتميم تختلف باختلاف السياق فقد تكون لما عرفت من قبل ، وقد تكون غير ذلك . وبإمكانك الآن أن تستخرج التتميم

^١ العلوي ، الطراز ، ١٠٥-١٠٦ .

من كل كلام تقرأه أو تسمعه ، كما يمكنك أن تضمنه كلامك تقول :
 [أعشق المعالي على ما فيها] و [لا أملُّ البلاغة على صعوبتها] [أتحمل إخواني
 وزملائي على إبدائهم لي] . ويمكن أن يكون من التتميم ، قوله تعالى : { بَغَيْرِ
 حَقِّ } في الآية ، { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ
 الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (١) وقوله تعالى : { فَوَيْلٌ
 لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
 فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (٢) (٣) قال تعالى :
 { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادَ } (٤) قوله
 تعالى : { أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ } ذكر لفظ { بِالْإِثْمِ } بعد قوله : { الْعِزَّةُ }
 يسمى عند علماء البديع (التتميم) ؛ لأنه ربما يتوهم أن المراد عزة الممدوح
 فذكر الإثم ليشير إلى أنها عزة مذمومة (٥) فيمكننا أن ندرجها تحت النكتة
 التي تفيد الصياغة عن احتمال الخطأ .

٩. التذييل : هو في اللغة جعل شئ ذيلًا لشيء آخر (٦) ، وهو تفعيلٌ من
 قولهم ذيل كلامه إذا عقبه بكلام بعد كمال غرضه منه (٧) . والمعنى
 الاصطلاحي لا يبعد عن هذا المعنى فهو منبثق عنه فقد عرفوا التذييل بأنه
 تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى (٨)

١ سورة آل عمران : الآية (٢١) .

٢ سورة البقرة : الآية (٧٩) .

٣ فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٩-٥٠٠ .

٤ سورة البقرة : الآية (٢٠٦) .

٥ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٣٥/١ .

٦ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٢ .

٧ العلوي ، الطراز ، ١١١ .

٨ مرجع رقم ٦ .

بالفحوى ولا محل لها من الإعراب ، وهو ضربان : ضرب لم يخرج مخرج المثل
والآخر ضرب خرج مخرج المثل (١) . وكذا جاء في (الإيضاح) (٢) و (فنون
البلاغة) (٣) و (علم المعاني) (٤) و (البلاغة فنونها وأفانها) (٥) .
وهناك تقسيم آخر للتذييل :

الأول : قد تكون الجملة الثانية تأكيداً لمنطوق الجملة الأولى ، بأن يكون
هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ - أي مادته لا صيغته - .
القسم الآخر : أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى أي تأكيداً
لمعناها دون أن يكون هناك اشتراك باللفظ بين الجملتين وكذا جاء
الطراز (٦) .

ممّا سبق نلاحظ أنّ تقسيم جاري مجرى المثل يقابل تقسيم منطوق
الكلام ، وغير جاري مجرى المثل يقابل تأكيد مفهوم الكلام .
وبذلك فإننا عندما نمثل لمثال الجاري مجرى المثل فإنه أيضاً يكون نفس مثال
منطوق الكلام وكذا لضرب غير جاري مجرى المثل فيكون لتأكيد مفهوم
الكلام .

جاء في تعريف التذييل عند صاحب (الصناعتين) بأنه : إعادة الألفاظ
المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه ،
وهو ضد الإشارة والتعريض . وللتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف
خطير ؛ لأنّ المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحاً ، وقال بعض البلغاء :

١ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٥ .

٢ القزويني ، الإيضاح ، ١١٤ .

٣ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٥ ، مرجع رقم (١) .

٤ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٩٨ .

٥ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٢-٤٩٣ .

٦ العلوي ، الطراز ، ١١١ .

[للبلاغة ثلاثة مواضع : الإشارة والتذييل والمساواة] وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ؛ لأنّ تلك المواطن تجمع البطيء الفهم والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن وضح للكليل البليد (١) .

القسم الأول للتذييل : تذييل جاري مجرى المثل : وهو أن تكون الجملة الثانية مشتملة على حكم كلي منفصل عما قبله جاري مجرى الأمثال (٢) ، ويكون ممّا تردده الألسنة ويصلح أن يكون مثلاً للعبارة والتأسي (٣) . ومنه قول : [إبراهيم بن المهدي] في رثاء ابنه :

تبدل دارا غير داري وجيرة *** سواي ، وأحداث الزمان تنوب
فجملة (أحداث الزمان تنوب) إطناب بالتذييل جار مجرى المثل ؛ لأنّه كلام مستقل بمعناه ومستغن عما قبله . ومنه كذلك قول : (أبي نواس) :

عَرَمَ الزَّمانُ عَلَى الَّذِينَ عَهِدْتُمْ *** بِكَ قَاطِنِينَ ، وَلِلزَّمانِ عُرْامُ (٤)
فقول : (أبي نواس) [لِلزَّمانِ عُرْامُ] تأكيد للمعنى السابق لاشتماله على معناه ، وهو مستقل عنه معناه ، وكذلك قول [الحطيئة] :

نزور فتى يعطى على الحمد ماله *** ومن يُعطِ أثمان المكارم يُحمِد (٥)
فالشرط الثاني إطناب بالتذييل للشرط الأول جار مجرى المثل ؛ لأنّه مستقل بمعناه ولا يتوقف فهمه على فهم ما قبله .

١ العسكري ، الصناعيتين ، ٤١٣ .

٢ محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٥ .

٣ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٢ .

٤ ديوانه ، ص ٥٧٥ ، ومعنى عرم الزمان اشتدت شرسته وأذاه ، دار صادر .

٥ في الديوان :

تَزُورُ أَمْرًا يُؤْتِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ *** وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدُ

ديوان الحطيئة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ، ص ١٦١ .

القسم الثاني : تذييل غير جار مجرى المثل : وهو الكلام الذي لا يستقل بمعناه ، ولا يفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله (١) ، أيّ : تكون الجملة الثانية مسوقة من أجل تأكيد مفهوم الكلام (٢) . وذلك كقول (النابعة) : من قصيدته البائية التي يمدح بها النعمان ويعتذر له :

وَكَسْتِ بِمَسْتَبِقٍ أَخَا لَا تُلْمَهُ *** عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ ؟ (٣)

واللّم الضم يقول : إنك لن تستبقي أحداً من الناس لا تضمه إليك ، ولا تقرّبه منك إذا كنت ترى منه خصالاً ذميمة ، وخلقاً غير مرضي ومعنى البيت : إنك لا تجد أحداً كامل خصال الخير خالياً من أيّ وصف سيء ثم قال : أيّ الرجال المهذب ، وهذا الاستفهام معناه : النفي . أيّ لا أحد يسلم من خصلة سوء . فقوله : [أيّ الرجال المهذب ؟] جاءت تأكيداً لما قبلها ؛ لأنّ ما قبلها أفاد هذا المعنى ، ولكننا نجد هذا التأكيد يختلف عن سابقه ؛ لأننا لا نجد في هذا البيت كلمات مشتركة من حيث مادتها بين الجملة الثانية وما قبلها ، فقوله : [أيّ الرجال المهذب] كلمات لم يذكر منها شيء في الجملة الأولى .

وقد كثر التذييل في أقوال الشعراء ، فمن التذييل الذي نحن بصدده قول ابن نباته السعدي :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أَوْمَلُهُ *** تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ (٤)

^١ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٧ - ٢١٨ .

^٢ العلوي ، الطراز ، ١١٣ .

^٣ مستبق : من استبقى : عفا عن ذنوبه ، الشعث : الفساد والعيب ، أيّ الرجال المهذب : أي من هو الإنسان الخالي من كل عيب ، ديوان النابعة الذبياني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، في الديوان ، [فَلَسْتُ] .

^٤ ديوان ابن نباتة المصري ، جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي ، ط ١ ، ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، محمد القلقيلي ، ٤١١ .

فالجملة الثانية جاءت تأكيداً لمنطوق الجملة الأولى ؛ لأنّ المعنى أنّ
كثرة جودك وبرّك وإحسانك لم تبق شيئاً أرجوه في هذه الدنيا فلقد أعطيتني
فبلغت من عطائك كل ما أوّمله ، فليس لي بعد عطائك شيء أرجوه فقوله :
[تركّني أصحاب الدنيا بلا أمل] تأكيد للجملة الأولى (١) وقد اجتمع
الضربان في قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } (٢) من الأول وما بعده من الثاني كلّ
منهما تذييل على ما قبله (٣) أي { أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ } تذييل لقوله :
{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ } وهو غير جار مجرى المثل ؛ لأنّه غير
مستقل في معناه عما قبله (٤) .

مثاله نثراً : كتب رجل إلى أخ له : [أمّا بعد فقد أصبح لنا من فضل
الله تعالى ما لا نحصيه ، ولسنا نستحي من كثرة ما نعصيه ، وقد أعيانا شكره
وأعجزنا حمده ، فما ندري ما نشكر ؟ أجميل ما نشر ، أم قبيح ما ستر ،
أم عظيم ما أبلي ، أم كثير ما عفا ، فاسترد الله من حسن بلائه بشكره على
جميع آلائه ...] فقوله : [فما تدرى ما نشكر] تذييل لقوله : [قد أعيانا
شكره] (٥) .

وبعد هذا يمكنك أن تمثّل للتذليل بقولك وقد ظهرت نتائج
الامتحانات ، وقد سئلت عن بعض زملائك الذين كانوا مجتهدين : [لقد
نجحوا بتفوق مشرف وكل من سار على الدرب وصل] (٦) .

^١ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٤٩٣-٤٩٤ .

^٢ سورة الأنبياء : الآيتان (٣٤-٣٥) .

^٣ القزويني ، الإيضاح ، ١١٥ .

^٤ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ٢١٨ .

^٥ أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٤١٤ .

^٦ مرجع رقم (١) ، ٤٩٤ .

هناك نقطة ينبغي أن لا تخفى علينا وهي : أن هناك ثمة فروقات بين الإيغال والتذييل فيما يلي :

- أ. الإيغال يكون بجملة وبغير جملة ، والتذييل لا يكون إلا بجملة .
- ب. الإيغال يكون لتوكيد وغيره ، والتذييل لا يكون إلا للتأكيد .
- ج. الإيغال يكون في ختم الكلام لا غير ، والتذييل يكون في ختم الكلام وفي أثناءه (١) .

وقد يكون هناك أسباب للإطناب غير ما تقدم يمكن أن تدركها بثاقب ذهنك ، وصائب فكري ، وحسن سليقتك ، ولحمة فطنتك من ذلك مثلاً قوله تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ } (٢) فإن قوله : { وَيُؤْمِنُونَ بِهِ } إطناب جاء لبيان فضل الإيمان وشرفه وإنما قلنا إنه إطناب ؛ لأن إيمانهم مما يرتكز في الطباع وهو معلوم .

ومثل هذا قولك [الطلاب المجتهدون يحرصون على الإفادة من أوقاتهم يذهبون إلى معاهدهم يقفون أمام كل جزئية من جزئيات العلم] فقولنا : [يذهبون إلى معاهدهم] إطناب (٣) .

وجاء الإطناب أيضاً بالبسط والزيادة وذلك بتكثير الجمل مثل له بقوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (٤) أطنب فيها أبلغ إطناب لكون الخطاب مع

١ محمد محمود شاهين ، فنون البلاغة ، ٢١٦ .

٢ سورة غافر : الآية (٧) .

٣ فضل عباس ، البلاغة فنونها ، ٥٠٥ .

٤ سورة البقرة : الآية (١٦٤) .

الثقلين ، وفي كل عصر وحين ، وهي وحيٌ للعالم منهم والجاهل ، والموافق منهم والمنافق (١) أمّا (العلوي) فقال : أن مجيء هذه الآية بهذه الصفة فهي من قبيل مجيئها على جهة التفصيل ، وقال : فليُنظر الناظر ، وليحْكُ قريحته بالتأمل البالغ فيما اشتملت عليه هذه الآية الباهرة من شرح عجائب هذه المخلوقات ، واختلاف أنواع المكوّنات ، وترتيبها على هذه الهيئة التي تعجز عن إدراكها القوى البشرية ، فقد نجدُها على ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى : الإشارة إلى المكوّنات السماوية وما اشتملت عليه من عجائب الملكوت وإتقان الصنعة ، وبديع الحكمة في تكوينها ورفعها ، وما فيها من المخلوقات العظيمة في أصنافها من الملائكة مع ما اختصوا به من عظم الخلق ونيل الزُلفى ، وأنّه لا خلق أعظم ولا أرفع منزلة عند الله تعالى منهم ، بما خصّهم به من امتثال أمره والاعتراف بعظمته .

المرتبة الثانية : الإشارة إلى المكوّنات الأرضية وما اشتملت عليه من الاختصاص بمنافع الخلق من أنواع الحيوانات والنبات والفواكه والأشجار والمعادن ، وسهّل لهم من سلوك مناكبها في البرّ والبحر .

المرتبة الثالثة : الإشارة إلى المكوّنات الحاصلة بين السماء والأرض من نزول لإحياء الأرض ونموّ الثمار والزررع وتصريف الرياح في مهأبها للمصالح الأرضية كلّها ، واختلاف الليل والنهار ، وما بثّ فيها من الحيوانات العظيمة على اختلاف أجناسها وأنواعها ، فقد أشار إلى ما ذكرناه من هذه التفاصيل في هذه الآية على أتمّ نظام وأعجب سياق ، ولو أثر الإيجاز على ذلك لقال تعالى : [إن في خلق المكوّنات لآيات للعقلاء] (٢) . فقد ترك الإيجاز لكونه

١ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ٨٣/٢ .

٢ العلوي ، الطراز ، ٣١٩-٣٢١ .

يؤثر إيجازه وهو : واتقوا يوماً لا خلاص عن العقاب فيه لكل من جاء مذنباً ، إذ كان كلاماً مع الأمة لنقش صورة ذلك اليوم في ضمائرهم ، وفي الأمة الجاهل والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد والمعاند والفهم والبليد لئلا يختص المطلوب منهم بفهم أحد دون أحد ، وأن لا يكون بحيث يناسب قوة سامع دون سامع ، أو يخلص إلى ضمير بعض دون بعض (١) .

ومن الآيات التي جاءت على سبيل الإجمال بعد التفصيل نورد قوله تعالى : { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٢) قوله : { تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ } فيه إجمال بعد التفصيل وهذا من باب الإطناب وفائدته زيادة التأكيد والمبالغة في المحافظة على صيامها وعدم التهاون بها أو تنقيص عددها (٣) وقيل : [أراد توكيد ما أوجبه عليه من الصيام بجمع العددين وذكره مجملاً] (٤) ، وقيل : [كاملة ، تأكيد آخر] وقيل : [أيّ كاملة في وقوعها بدلاً من الهدى] وقيل : [أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور لم تكن كاملة] (٥) .

قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

١ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٢٨٢ .

٢ سورة البقرة آية (١٩٦) .

٣ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٣١/١ .

٤ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ، دار التراث ٢٤٣ .

٥ القزويني ، الإيضاح ، ١١٨ .

الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (١) قوله : { وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } هذا من باب التفصيل بعد الإجمال وهو ما يسمى في البلاغة بالإطناب (٢) .

ومن الإطناب ما كان كقولهم : رأيتُه بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، وذقته بلساني ، يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله ، دلالة على أن نيته ليس بمتعذر ، وعلى هذا جاء قول البحري :

تأمل من خلال السجف وانظر *** بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس *** إلى من الرحيق الخسرواني (٣)

فحضور مثل هذا المجلس نادر ، ولا سيما إذا كان الساقى فيه على ما وصف من الحسن ، ومن ثم قال : انظر بعينك (٤) .

ومن الإطناب ما يسمى توكيد الضمير المتصل بالمنفصل كقوله تعالى : { قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ نُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ } (٥) فقولهم : { نَحْنُ الْمُلْقِينَ } ولم يقولوا : [وإما أن نُلقي] ذلك لرغبتهم في أن يلقوا قبله تقدماً عليه ، فلهذا أتى الضمير المتصل مؤكداً بالمنفصل (٦) .

ومن الإطناب ما اشتمل على نوعين مثل التوكيد والزيادة ومشابهة أو ما كان كقولهم ما جاء على مثل قوله تعالى : { وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ

١ سورة البقرة : الآية (٢١٩) .

٢ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٤٣/١ .

٣ في الديوان :

تأمل من خلال الشك ، فانظر *** بعينك ما شربت ومن سقاني

تجد شمس الضحى تدنو بشمس *** إلى ، من الرحيق الخسرواني

ديوان البحري ، ص ١٦٥ .

٤ المراغي ، علوم البلاغة ، ١٩٨ .

٥ سورة الأعراف : الآية (١١٥) .

٦ ابن الأثير ، جواهر الكنز ، ٢٥٧ .

يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } (١) فقولته تعالى : { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ } ؛ لأن الرجل قد يقول بالجواز كلمت فلاناً ، وإنما كان ذلك كتاباً أو إشارة على لسان غيره ، فأعلمنا أنهم يقولون بألسنتهم . وكذلك قوله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (٢) قوله : { يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ } ؛ لأن الرجل قد يكتب بالجواز ، وغيره الكاتب عنه . وقوله : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (٣) فقولته : { طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } كما تقول : رأى عيني وسمع أذني .

وقوله : { أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ } (٤) هذا الإطناب فائدته زيادة التقرير والتوبيخ (٥) .

ومن الإطناب ما جاء بزيادة الحرف لمعنى التأكيد كقوله تعالى : { قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } (٦) فقولته : { إِلَّا تَسْجُدَ } أي ما منعك أن تسجد ، فزاد في الكلام (لا) لأنه لم يسجد (٧) .

١ سورة آل عمران : الآية (١٦٧) .

٢ سورة البقرة : الآية (٧٩) .

٣ سورة الأنعام : الآية (٣٨) .

٤ سورة الأعراف : الآية (١٩٥) .

٥ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٤٩٠/١ .

٦ سورة الأعراف : الآية (١٢) .

٧ ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ٢٤٤ .

وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (١) قوله : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ } زعم بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويله [وقال ربك] ، وأن إذ من الحروف الزوائد ، وأن معناها الحذف ، والأمر في ذلك بخلاف وذلك أن حرف إذ حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام ، إذ سواء قال قائل : [هو بمعنى التطول ، وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم] وقيل : [في جميع الكلام الذي نطق به دليلاً على ما أريد به هو بمعنى التطول] وليس المدعي أن إذ بمعنى التطول وجه مفهوم ، بل ذلك معناه لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذي أريد (٢) .

ومما جاء بأكثر نوع من أنواع الإطناب قوله تعالى : { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (٣) قوله : { فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلاً فيها دخولاً أولياً اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ، ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبار المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق أو برزت في صورة الجملة الإسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه وتعالى في ذم الناس لا انفكك لهم عن أدائه

^١ سورة البقرة : الآية (٣٠) .

^٢ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ، ١/١٩٥-١٩٦ .

^٣ سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

والخروج عن عهده وسلوك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص ، والإجمال ثم التبيين ، والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير ، وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه ، وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحاً إسقاطاً له عن درجة الاعتبار واستهجاناً بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب (١) .

نجد في تتبعنا للقرآن الكريم فيما أخذنا أنه يتبع الأسلوب العربي في البيان ، ويراوح بين الأساليب ، ففيه من الإيجاز نصيب وفيه من الإطناب حظ .

١ الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، (د-ت) ، ٦٢/١ .

الخاتمة

والحمدُ لله على انتهائي	***	كما حمدت الله في ابتدائي
أسأله مغفرة الذنوب	***	جميعها والستر للعيوب
ثم الصلاة والسلام أبداً	***	تغشى المصطفى محمداً
ثم جميع صحبه والآل	***	السادة الأئمة الأطهار
تدوم سرمداً بلا نفاذ	***	ما جرت الأقلام بالمداد
ثم الدعاء وصية القراء	***	جميعهم من غير ما استثناء

مدار الأمر في الإيجاز والإطناب على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ،
والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، والحاجة إلى كلِّ ماسّة ولكل موضع
لا يسدُّ أحدهما مكان الآخر فيه ، وللدوق السليم القول الفصل .

هناك اختلاف حول مفهوم الإيجاز والإطناب ، فالإيجاز هو البلاغة
وهو التمكين من احتواء المعنى في قليل من اللفظ بحذف أو بغير حذف ،
والإطناب هو أداء المقصود من الكلام بأبلغ وأشد وأقوى عبارة من كلام
متعارف الأوساط وكلا المعنيين لا يبعدا عن معناهما لغة .

اختُلف أيضاً في مفهوم استخدام الإيجاز والإطناب ، وقيل أن الإيجاز
يستخدم مع الأعراب والخاصة والإطناب مع بني إسرائيل والعامّة ، لكن
خلاصة الأمر أن الإيجاز استعمل مع العامّة وبني إسرائيل ، والإطناب استعمل
مع الخاصة والأعراب أيضاً ، فكلا المعنيين من الإيجاز والإطناب استخدمتا مع
مختلف الفئات والهيئات جميعاً .

هناك من يقول أن بين الإيجاز والإطناب واسطة تسمى المساواة
ومنهم من يرفض تلك الواسطة وخلاصة الأمر أنه توجد واسطة وهي المساواة
ومعناها أن تكون الألفاظ بقدر المعاني وهي لا محمودة ولا مذمومة .

الإيجاز والإطناب موجودان في القرآن الكريم والحديث الشريف
والحكيم والأشعار وأقوال العرب .

إننا لا نستطيع أن نجزم بأن الإيجاز أفضل من الإطناب ، أو أن الإيجاز
أكثر من الإطناب وجوداً في القرآن ؛ لأن كلاهما موجود في كتاب الله تعالى
ولا يوجد فيه تضاد أو اختلاف بل تشابه . فإذا كان نقد الكلام كله صعباً ،
وتمييزه شديداً ، والوقوع على اختلاف فنونه متعذراً وهذا في كلام الآدميين
فما ظنك بكلام رب العالمين ؟ !

ونحن نعلم أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على
خلقه ، قال تعالى : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (١) ، وقوله تعالى : { قُلْ
لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (٢) .

وصيّي للباحثين إن أرادوا نفعاً عظيماً أن يعرضوا أبحاثهم على القرآن الكريم
استناداً على ما رواه عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (إن هذا القرآن
مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن هو جبل الله الذي أمر به
وهو النور البين والشفاء النافع عصمة لمن اعتصم به ونجاة لمن تمسك به لا يعوج
فيقوم ولا يزوغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن رد اتلوه فإن الله

^١ سورة الزمر : الآية (٢٣) .

^٢ سورة الإسراء : الآية (٨٨) .

عز وجل يأجركم بكل حرف منه عشر حسنات لم أقل لكم ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (١) .

وكلما أبحرت فيه زدت إعجاباً وفهماً وعلماً وقرباً من الله تعالى ، وقد قال خباب بن الأرت (رحمه الله تعالى) في ذلك لرجل : [تقرب إلى الله تعالى ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه] .

والحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله وصحبه الكرام الطيبين الشرفا ، { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } (٢) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

^١ فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر العسقلاني ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

^٢ سورة طه : الآية (١١٤) .

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة			
١.	{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }	٥	٢١
٢.	{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }	٦	٥٤ ، ١٠٦
٣.	{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ... }	٧	١٠٦
سورة البقرة			
٤.	{ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ ... }	١ - ٢	٥٦
٥.	{ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }	٢	٦٩
٦.	{ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرِجِعُونَ }	١٨	٦١ ، ٤٩
٧.	{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ... }	٣٠	١٥٣
٨.	{ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ... }	٢٤	١٣١
٩.	{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ ... }	٣٣	١٣٣
١٠.	{ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ... }	٤٢	١١٥ ، ١١٤
١١.	{ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ ... }	٤٨	١٥٠
١٢.	{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ... }	٥٤	٨٢ ، ٨١
١٣.	{ ... فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ... }	٦٠	٥٧
١٤.	{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ... }	٦٧	٨٢
١٥.	{ ... فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ }	٧١	٥٩
١٦.	{ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَارُكُمْ ... }	٧٢	١٣٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
.١٧	{ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ ... }	٧٩	١١٤ ، ١٤٢ ١٥٢
.١٨	{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ ... }	٩٦	٦٧
.١٩	{ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ... }	٩٨	١١٠
.٢٠	{ ... وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ... }	١٠٥	١١٦
.٢١	{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ ... }	١٠٧	١١٦
.٢٢	{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا ... }	١١١	١٣٦
.٢٣	{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ... }	١١٦	١٣١
.٢٤	{ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي ... }	١٢٣	١٥٠
.٢٥	{ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ ... }	١٣٦	١٤٩
.٢٦	{ ... وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ }	١٥١	١١٢
.٢٧	{ ... وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... }	١٥١	١١٣
.٢٨	{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ ... }	١٥٤	٥١
.٢٩	{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... }	١٦٤	١٤٧ : ١٤٨
.٣٠	{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... }	١٧٧	١٣٩
.٣١	{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... }	١٧٩	١٦ ، ٦٦ ، ٧٠
.٣٢	{ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا ... }	١٨٤	٥٠
.٣٣	{ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ... }	١٨٤	٥٥

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
. ٣٤	{ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا ... }	١٩٦	٥٤
. ٣٥	{ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }	١٩٦	١١٦
. ٣٦	{ ... فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ... }	١٩٦	١٥٠
. ٣٧	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ... }	٢٠٦	١٤٢
. ٣٨	{ ... وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ ... }	٢١١	١١٦
. ٣٩	{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... }	٢١٩	١٥١
. ٤٠	{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ... }	٢٢٢ : ٢٢٣	١٣٧
. ٤١	{ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ... }	٢٢٣	١٣٧
. ٤٢	{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ... }	٢٣٨	١١١
. ٤٣	{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ ... }	٢٥٣	١١٧
. ٤٤	{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... }	٢٥٥	١١٧
. ٤٥	{ ... لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ... }	٢٥٥	٦١
. ٤٦	{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ... }	٢٦٢	١١٣
. ٤٧	{ ... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ... }	٢٧٢	١١٣
. ٤٨	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ ... }	٢٨٢	١١٧-١١٨
. ٤٩	{ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... }	٢٨٢	١١٦
. ٥٠	{ ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ... }	٢٨٦	١١٥
سورة آل عمران			
. ٥١	{ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ... }	١٤	١١٠

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
.٥٢	{ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ ... }	٢٠	٥١
.٥٣	{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... }	٢١	١٤٢
.٥٤	{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ... }	٢٦	١١٧-١١٦
.٥٥	{ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ ... }	٣٦	١٣٢
.٥٦	{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ... }	٤٣،٤٢	١١٨
.٥٧	{ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... }	٤٩	١٢٠
.٥٨	{ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ... }	٧٣	١٣٥
.٥٩	{ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ... }	٨٤	١١٣
.٦٠	{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا ... }	٩٢	١٤٠
.٦١	{ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبْرَاهِيمَ ... }	٩٧	١٥٣
.٦٢	{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ ... }	٩٩،٩٨	١٢١
.٦٣	{ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ... }	١٠٤	١١١
.٦٤	{ ... وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ... }	١١٠	٥٤
.٦٥	{ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... }	١١٣	٥٤
.٦٦	{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ... }	١٥٩	٨٦
.٦٧	{ ... لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا ... }	١٦٧	٤٧
.٦٨	{ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ... }	١٦٧	١٥٢
.٦٩	{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ... }	١٨٨	١٢١
.٧٠	{ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ... }	١٩١، ١٩٤	١١٥

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة النساء			
.٧١	{ ... تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ... }	١	٦٢
.٧٢	{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا ... }	٣	١٢٢
.٧٣	{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... }	٢٣	٤٦
.٧٤	{ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ ... }	٣٧	٥١
.٧٥	{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ... * يَوْمَئِذٍ ... }	٤١-٤٢	٤٩
.٧٦	{ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ ... }	٧٣	١٣٥
.٧٧	{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا ... }	٨١	٥٠
.٧٨	{ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ... }	٨٢	١٠٤
.٧٩	{ ... فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ ... }	١٠٣	١١٧
.٨٠	{ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ... }	١٥٥	١٣٦-١٣٧
.٨١	{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... }	١٦٣	١١٢
سورة المائدة			
.٨٢	{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ... }	٣	٤٦
.٨٣	{ ... إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... }	٦	٥٧
.٨٤	{ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ ... }	٢٣	١٣٧
.٨٥	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ ... }	٥٤	١٢٩
.٨٦	{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ ... }	٦٤	١٣٢

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام			
.٨٧	{ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اللَّهَ أَتَّخِذُ ... }	١٤	٢١
.٨٨	{ وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ ... }	٣٥	٥٧
.٨٩	{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ... }	٣٨	١٥٢
.٩٠	{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ... }	١٠٠	٢١
سورة الأعراف			
.٩١	{ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ... }	١٢	١٥٣-١٥٢
.٩٢	{ ... كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ... }	٣٢	٣٣
.٩٣	{ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ... }	٤٥	٥٥
.٩٤	{ ... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ... }	٥٤	٧١
.٩٥	{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى ... }	٩٧	٩٧، إلى ٩٩ ١١٤- ١١٥
.٩٦	{ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ... }	١١٥	
.٩٧	{ ... أَوْلَيْكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ... }	١٧٩	٣٣
.٩٨	{ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ... }	١٩٥	١٥٢
.٩٩	{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ... }	١٩٩	٧٠
سورة الأنفال			
.١٠٠	{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ... }	١	١١٨
.١٠١	{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ... }	٥	٥٠

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٢	{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ ... }	٥٨	٤٦
١٠٣	{ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ... }	٦٣	١١٨
١٠٤	{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ... * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا ... }	٧٤- ٧٥	١٢٠
سورة التوبة			
١٠٥	{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ... }	١٩	١٢٠
١٠٦	{ لَا يَسْتَأْذِنُكَ ... * إِنَّمَا ... }	٤٤- ٤٥	٩٢
١٠٧	{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ... }	١٢٨	٢١
سورة يونس			
١٠٨	{ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }	٢٤	٣٣
١٠٩	{ ... فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ... }	٧١	٥٣
سورة هود			
١١٠	{ الرِّيبُ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ... }	١	أ
١١١	{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ... }	٥٧	٤٦
سورة يوسف			
١١٢	{ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا ... }	١٥	٥٣
١١٣	{ وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ... }	١٨	١٢
١١٤	{ ... تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ... }	٣٠	٤٧
١١٥	{ ... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ... }	٣٠	٤٧
١١٦	{ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ ... }	٣٢	٤٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١١٧.	{ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ... }	٤٧- ٥٠	٥٨
١١٨.	{ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي ... }	٨٢	٤٤ ، ١٠
١١٩.	{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ... }	٩٦	٨٧
سورة الحجر			
١٢٠.	{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ... }	٩	١
١٢١.	{ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ... }	٦٥- ٦٦	١٠٦
سورة النحل			
١٢٢.	{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ ... }	١١٩	١٢١
١٢٣.	{ ... فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ... }	٢٦	٩٠
١٢٤.	{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ... }	٩٠	١٠٣
١٢٥.	{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... }	١١٠	١٢٠
١٢٦.	{ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }	١١٧	١٢
سورة الإسراء			
١٢٧.	{ ... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }	٨٥	٣
١٢٨.	{ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ ... }	٨٨	١٥٦
سورة مريم			
١٢٩.	{ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ... }	٧-١٢	٥٨
سورة طه			
١٣٠.	{ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ... * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي }	٢٥- ٢٦	١٠٥

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
. ١٣١	{ ... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }	١١٤	١٥٧
. ١٣٢	{ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ... }	١٢٠	١٠٧
. ١٣٣	{ ... قَالَ يَا آدَمُ هَلْ ... }	١٢٠	١٠٧
سورة الأنبياء			
. ١٣٤	{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ... }	-٣٤ ٣٥	١٤٦
سورة الحج			
. ١٣٥	{ ... وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا ... }	٣٥	٦٠
. ١٣٦	{ ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ... }	٤٦	٩٠ ، ٨٤
سورة المؤمنون			
. ١٣٧	{ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... }	٩٢	٦١
سورة الفرقان			
. ١٣٨	{ ... وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }	٣٢	٦٣
سورة الشعراء			
. ١٣٩	{ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ... }	-٢٣ ٢٨	٦١-٦٠
سورة النمل			
. ١٤٠	{ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُنُونِي مُسْلِمِينَ }	-٣٠ ٣١	٦٦
سورة الأحزاب			
. ١٤١	{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ... }	٤	٩٨

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة سبأ			
١٤٢.	{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ... }	٢٨	٣٣
سورة فاطر			
١٤٣.	{ ... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ... }	٤٣	٧٢
سورة يس			
١٤٤.	{ وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ ... }	٢٠ -	١٢٦
		٢١	
١٤٥.	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ... }	٤٥	٤٤
سورة ص			
١٤٦.	{ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ }	٨٧	٣٣
سورة الزمر			
١٤٧.	{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... }	٢٣	-١٠٣ ١٥٦، ١٠٤
سورة غافر			
١٤٨.	{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ... }	٧	١٤٧
سورة فصلت			
١٤٩.	{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ... }	٤٢	١
سورة الشورى			
١٥٠.	{ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ... }	٧	٢٥
سورة الفتح			
١٥١.	{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... }	٢٩	١٣٠
سورة الرحمن			
١٥٢.	{ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَأْكِهَةٍ زَوْجَانِ }	٥٢	٩٣، ٣٣

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة المجادلة			
١٥٣.	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ ... }	١١	١٠٨
سورة القلم			
١٥٤.	{ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ }	٥٢	٣٣
سورة التكويد			
١٥٥.	{ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ }	-١ ١٤	٩٩
سورة البروج			
١٥٦.	{ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ }	٢٢	٦٣
سورة الفجر			
١٥٧.	{ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ }	٤	٦٠
١٥٨.	{ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }	٢٢	٤٧
سورة الشرح			
١٥٩.	{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }	١	١٠٦

فهرس الأحادس

الرقم	طرف الحدس	الصفحة
.١	(هذه البلاغة)	٢٧-٢٨
.٢	(أعطس جوامع الكلم)	٢٨
.٣	(كان النبى ﷺ ...)	٤٠
.٤	(الأعمال بالنسب)	٤٦
.٥	(فهلأ جارية ...)	٥٢
.٦	(اسق ثم أرسل ...) (اسق يا زببر ...)	٥٦
.٧	(الحلال بئن ...)	٧٢
.٨	(ما أحب أن ببس ...)	٧٥
.٩	(ما بئن طنبى المدينة ...)	٧٨
.١٠	(بهرم ابن آدم ...)	١٠٨
.١١	(إن فىك لخصلتين ...)	١٠٨
.١٢	(ثلاث من كن فىه ...)	١٠٩
.١٣	(أربع من كن فىه ...)	١١٠

فهرس الأشعار

الرقم	عجز البيت	الصفحة
.١	... والمنكبَا	٧٩
.٢	... الرُقْبَاءِ	٢٦
.٣	... وأشياء	٣
.٤	... المطالا أو العطايا	١٣٤
.٥	... وعلا	٣
.٦	... مبتلى	١٢
.٧	... الأطنيبُ	٧٥
.٨	... ولا طَنْبُ	٧٧
.٩	... العُربُ	٨١
.١٠	... تنوبُ	١٤٤
.١١	... المهذبُ	١٤٥
.١٢	... بالصوابِ	٢٩
.١٣	... باللعبِ	٣٩
.١٤	... الأطنيبِ	٧٧
.١٥	... مطنابِ	٧٩
.١٦	... شعوبِ	٨٣
.١٧	... شحوبِ	١٠٣
.١٨	... أربِ	١٣٣

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
.١٩	... قريب	١٣٥
.٢٠	... كليب	١٢٢
.٢١	... المَغِبِّ	٧٩
.٢٢	... طُنْبُ	٧٧
.٢٣	... أطانيبُ	٧٦
.٢٤	... يثقبُ	١٢٥
.٢٥	... القواضب	١٢٩
.٢٦	... علاجا	٩٦
.٢٧	... أرواحُ	١٤١
.٢٨	... مزيدا	٩٢
.٢٩	... وقلودُ	١٠٩
.٣٠	... يُحمَدُ	١٤٤
.٣١	... أضرمْتُ في القلب ناراً	٢١
.٣٢	... قُدِرَا	١٣٤
.٣٣	... ما شعروا	٣٥
.٣٤	... والمطرُ	١٠٩
.٣٥	... والقمرُ	١١٠
.٣٦	... نارُ	١٢٤
.٣٧	... لا ينكرُ	٥٩

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
.٣٨	... حرار	٣١
.٣٩	... المحبّر	٩٧
.٤٠	... اعتذر	٤٨
.٤١	... مترعا	١٢٢
.٤٢	... واسع	٧٢
.٤٣	... الكتف	١٤٠
.٤٤	... بالجيف	١٢٧
.٤٥	... خُلِقًا	١٤٠
.٤٦	... فاكا	٥٢
.٤٧	... فاك	١٠٩
.٤٨	... وأرْجُلُ	١٢٨
.٤٩	... قَتِيلُ	١٣٠
.٥٠	... جليل	١٣٣
.٥١	... معاقله	٢٦
.٥٢	... المسبيل	٩١
.٥٣	... الوحل	١٢٥
.٥٤	... بلا أمل	١٤٥
.٥٥	... المسلسل	١٢٥
.٥٦	... الوعل	١٢٦

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
.٥٧	... فطيمة طاعما	١١٩
.٥٨	... جهنماً	١٣٤ ، ١٤١
.٥٩	... فنكارمه	١٣٦
.٦٠	... عرام	١٤٤
.٦١	... أكثره دم	١٩
.٦٢	... السقيم	٣٥
.٦٣	... تعلم	٧٢
.٦٤	... عم	٨٣
.٦٥	... لكريم	١٢١
.٦٦	... الشكم	١٢٨
.٦٧	... الحلم	١٢٩
.٦٨	... عليه حرم	١٩
.٦٩	... ترجمان	١٣٢
.٧٠	... جنونا	١٠٣
.٧١	... أين أيننا	١١٩
.٧٢	... باليمين	٢٢
.٧٣	... مداها	٢٣
.٧٤	... حبيها	٧٣

الصفحة	طرف الحديث	الرقم
١٢٤	... أجزلوا	.٧٥
١٣٢	... فانيا	.٧٦
١٤١	... تهمي	.٧٧
١٢٢	... مني	.٧٨
١١	... عبلة واسلمي	.٧٩
١٥١	... سقاني	.٨٠

فهرس التراجم

الرقم	العَلَم	الصفحة
٠١	أبى بن كعب بن قيس بن عبىء	٥٣
٠٢	أحمء بن الحسين بن الحسن (المتنبى)	٣٤
٠٣	أحمء بن المعءل	١٠١
٠٤	أرسطاليس	٣٩
٠٥	إقليءىس	٣٩
٠٦	امرؤ القيس بن حجر	٣٠
٠٧	أنس بن مالك	٤٠
٠٨	إياس بن معاوية	١٠٠
٠٩	بشر بن أبى خازم	٢٣
٠١٠	جابر بن عبء الله بن عمرو بن حرام	٥٢
٠١١	جعفر بن محمد (الصادق)	٧٠
٠١٢	جعفر بن يچى البرمكى	٢٤
٠١٣	الحجاج بن يوسف الثقفى	٨٨
٠١٤	الحسن بن سهل العسكرى	٨
٠١٥	الحسن بن سهل الوزىر	١٠٢
٠١٦	حمء بن محمد بن إبراهيم (الخطابى)	
٠١٧	حمزة بن حىب بن عمارة	٦٢
٠١٨	الخلىل بن أحمء الفراهىءى	٩٧
٠١٩	ربىعة الرأى	١٠٠

الرقم	العَلَم	الصفحة
.٢٠	رؤبة بن العجاج	٦١
.٢١	الزبير بن العوام	٥٦
.٢٢	زياد بن معاوية (النابعة الذبياني)	٢٨
.٢٣	زيد بن صوحان	١٠٠
.٢٤	سهل بن هارون	٩٩
.٢٥	سيبويه	٦٠
.٢٦	شبيب بن شيبعة	٢٣
.٢٧	الشماخ بن ضرار	٢٢
.٢٨	صُحَّار بن عيَّاش العبدي	١٥
.٢٩	عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني	١٠
.٣٠	عبد الله بن الزبيري	٢٨
.٣١	عبد الله بن عمر بن الخطاب	٤٠
.٣٢	عبد الله بن شبرمة	١٠٠
.٣٣	عبد الله بن مسعود	٥٤
.٣٤	عبد الله بن مسلم بن قتيبة	١٧
.٣٥	عبد الله بن المقفَّع	٢٤
.٣٦	عبد الله بن هارون الرشيد	٣٦
.٣٧	عبد الواحد بن محمد (المطرز البغدادي)	١٩
.٣٨	عبيد الله بن حفص التيمي	١٠١
.٣٩	عثمان بن جني الموصلي	٦٢

الرقم	العَلَم	الصفحة
.٤٠	علي بن أبي طالب	٢٩
.٤١	علي بن عيسى الرُّماني	١٨
.٤٢	علي بن هشام	١٠٢
.٤٣	عمّار بن ياسر	٣٨
.٤٤	عمر بن عبد العزيز	٣٩
.٤٥	عمرو بن بحر الجاحظ	١٧
.٤٦	عمرو بن العاص	٣٠
.٤٧	أبو عمرو بن العلاء	٩٧
.٤٨	عمرو بن مسعدة	٣٦
.٤٩	الفضل بن سهل	١٠١
.٥٠	الفضل بن عيسى الرقاشي	١١
.٥١	قدامة بن جعفر	١٨
.٥٢	قيس بن خارقة	٩٧
.٥٣	مجاهد بن جبر	٤٧
.٥٤	محمد بن الطيّب (الباقلاني)	١٨
.٥٥	محمد بن عبد الرحمن (القزويني)	٦
.٥٦	محمد بن مسعر العقيلي	١٠١
.٥٧	محمد بن يزيد (المُبرّد)	١٤
.٥٨	محمود بن عمر	٦١
.٥٩	معاوية بن أبي سفيان	١٥

الصفحة	العَلَم	الرقم
١٥	المفضل بن محمد الضبي	.٦٠
٨٨	المهلب بن أبي صفرة	.٦١
١٩	مهيار بن مرزوية	.٦٢
	أبو موسى	.٦٣
٩	نصر بن محمد (ابن الأثير)	.٦٤
٢٨	همّام بن غالب (الفرزدق)	.٦٥
٨٩	الوليد بن يزيد	.٦٦
١٠٢	يحيى بن خالد	.٦٧
	أبو يعقوب الخريمي	.٦٨
٦	يوسف بن أبي بكر السكاكي	.٦٩

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، (د. ت) .
٢. أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، ديوان أبي الطيب المتنبي ، ط الأخيرة ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م ، (د. ن) ، دار المعرفة (د. ت) .
٣. أحمد السامرائي ، شعراء عباسيون ، عالم الكتب ، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٤. أحمد بن فارس بن زكريا بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، دار الجيل ، ط (١) ١٤١١هـ-١٩٩١م .
٥. أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (٢) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٦. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م .
٧. أحمد بن علي بن محمد المشهور بأبي حجر العسقلاني ، نزهة الألباب في الألقاب ، مكتبة الرشد ، ط (١) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٨. أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، ط (١) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٩. أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، (د. ت) .
٩. أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، ط (٣) ١٩٨٠م .

١٠. أحمد عبد اللطيف الزبيدي ، مختصر صحيح البخاري ، دار النفائس ، ط (٤) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
١١. أحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، دار القلم ، دمشق ، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
١٢. أنعام فوّال عكاوي ، المعجم المفصّل في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ط (٢) ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
١٣. د. إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، انتشارات ناصر خسرو طهران ، (د. ت) .
١٤. إسماعيل بن عمرو بن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط (٣) ١٩٨٠م .
١٥. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ، ديوان امرؤ القيس ، دار صادر ، (د. ت) .
١٦. أبو البركات بن الأنباري ، البيان في غريب القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
١٧. بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، مطبعة السعادة ، ط (١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
١٨. تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد ، ديوان الخنساء ، دار صادر ، (د. ت) .
١٩. جلول بن أوس بن جؤية بن مخزوم ، ديوان الخطيئة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م .
٢٠. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، ١٩٥٧م .
٢١. جورج غريب ، أسرار اللغة ، دار الثقافة ، ط (١) ١٩٧٨م .
٢٢. حبيب بن جاسم بن أوس الطائي ، ديوان أبي تمام .

٢٣. الحسن بن هانئ الحكمي ، ديوان أبي نواس ، دار صادر .
٢٤. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصنائع ، دار الكتب العلمية ، ط (٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٢٥. ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، دار القاموس ، (د. ت) .
٢٦. الحافظ الذهبي ، العبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ط (١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٢٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، دار ومكتبة الهلال ، (د. ت) .
٢٨. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط (٦) ١٩٨٤م .
٢٩. ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، ديوان المفضليات (المرقش الأصغر) ، دار الفكر اللبناني ، ط (١) ١٩٩٨م .
٣٠. الرماح بن أبرد المرّي ، شعر ابن ميادة ، مطبوعات اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٣١. الرُّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف بمصر ، ط (٢) ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م .
٣٢. زهير بن أبي سلمى ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار صادر ، بيروت، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .
٣٣. زياد بن معاوية، ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، (د. ت) .
- ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .
٣٤. السموأل بن عادياء، ديوان السموأل، بيروت، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .
٣٥. سيبويه ، الكتاب ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط (٢) ١٩٧٧م .
٣٦. السيد أحمد الهاشمي بك ، جواهر البلاغة ، مطبعة حجازي ، ط (١١) ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م .

٣٧. السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ، تاج العروس ، دار الفكر ،
(د. ت) .
٣٨. الشوقيات ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٧٠ م .
٣٩. الشمّاخ بن ضرار الذبياني ، ديوان الشمّاخ بن ضرار ، دار المعارف
مصر ، (د. ت) .
٤٠. الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ، دار الفكر ، ط (٣) ،
(د. ت) .
٤١. صفي الدين الحلّي ، ديوان صفي الدين الحلّي ، دار صادر ، بيروت ،
١٣٨٢هـ-١٩٦٢م .
٤٢. طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، عالم الكتب، بيروت، ط (١)
١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٤٣. عالي سرحان عمر القرشي ، المبالغة في البلاغة العربية ، مطبوعات
نادي الطائف الأدبي ، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م .
٤٤. عبيد بن الأبرص ، ديوان عبيد بن الأبرص ، دار صادر ، ١٤١٨هـ-
١٩٩٨م .
٤٥. عبد الباقي بن عبد المجيد ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ،
(د. ت) ، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٤٦. عبّاس بن الأحنف، ديوان العباس بن الأحنف ، دار صادر ، بيروت ،
١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .
٤٧. عثمان بن جنّي ، الخصائص ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط (٢) ،
(د. ت) .
٤٨. عثمان بن سعيد الداني ، التيسير في القراءات السبع ، دار الكتاب
العربي ، ط (٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

- ٤٩ . عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د. ت) .
- ٥٠ . عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي ، مقدمة ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، (د. ت) .
- ٥١ . عبد الرحمن السيوطي ، بغية الوعاة ، المكتبة العصرية ، (د. ت) .
- الإتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، (د. ت) .
- ٥٢ . عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٥٣ . عبد العظيم بن عبد الواحد ، تحرير التحبير ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- ٥٤ . عبد الفتاح أحمد الحموز ، التأويل النحوي في القرآن الكريم ، مكتبة الرشد ، ط (١) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٥٥ . عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أسرار البلاغة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صباح وأولاده ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٥٦ . عليُّ بن العباس بن جرجيس وقيل جريج ، ديوان ابن الرومي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٦م .
- ٥٧ . علي بن محمد الجزري ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، (د. ت) .
- ٥٨ . عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٥٩ . عبد الله بن المعتز بن المتوكل على الله ، ديوان ابن المعتز ، دار الجيل ، ط (١) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٦٠. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تأويل مُشكل القرآن ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط (١) ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
أدب الكاتب ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ط (٢) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٦١. عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، ط (٤) ، (د. ت).
الحيوان ، دار الجيل ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٦٢. عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، (د. ت) .
٦٣. عنتر بن شدّاد العبسي ، ديوان عنتر بن شداد ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٦٤. غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة ، ديوان ذي الرُّمة ، دمشق ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
٦٥. فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، دار الفرقان ، ط (٢) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٦٦. قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، المكتبة العلمية ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
نقد الشعر ، ط (١) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط (١) ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م .
٦٧. كُثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، ديوان كُثيّر عزة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م .
٦٨. ليبيد بن ربيعة العامري ، ديوان ليبيد بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .
٦٩. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير، ١٩٨٩م، و ط (١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٧٠. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن دار الفكر ، ط (١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٧١. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ط (٧) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٧٢. محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحى ، طبقات علماء الحديث ، مؤسسة الرسالة ، ط (١) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٧٣. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م .
٧٤. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن، دار الكتب العلمية ، (د. ت) .
٧٥. محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٧٦. محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي ، الإيضاح ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط (٢) ، (د. ت) .
٧٧. محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، دار صادر ، (د. ت) .
٧٨. محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، من بلاغة القرآن، (د. ن)، ط (٢) ١٩٩٨م .
٧٩. محمد بن صمادح التجيبي ، مختصر تفسير الطبري ، دار الفجر الإسلامي ، ط (٢) ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٨٠. محمد طاهر صاحب الفنج فيري ، العرفان في أصول القرآن ، دار القرآن ، ط (٢) جمادى أولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
٨١. محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، إعجاز القرآن للباقلاني ، دار المعارف ، ط (٥) ، (د. ت) .

٨٢. محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار إحياء التراث العربي ،
الفيصلية ، (د. ت) .
- قبس من نور القرآن الكريم ، دار القلم ، دمشق ، ط (٣) ١٤٠٩هـ -
١٩٨٩ م .
٨٣. محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ،
دار المعارف ، (د. ت) .
٨٤. محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة
(د. ت) .
٨٥. محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان، دار المعرفة، بيروت، (د. ت) .
٨٦. محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي
(د. ت) .
٨٧. محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، النشر في القراءات
العشر ، دار الكتب العلمية ، (د. ت) .
٨٨. محمد محمود شاهين ، فنون البلاغة ، (د. ن) ، (د. ت) .
٨٩. محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي، لسان العرب، دار الفكر، ط (١)
١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م .
٩٠. محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة
المعارف ، (١-٢) ، (د. ت) .
٩١. الكامل في اللغة والأدب ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ١٤٠٧هـ -
١٩٨٧ م .
٩٢. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار الجليل ، بيروت
(د. ت) .

- ٩٣ . محمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان التوحيدي ، البحر المحيط ، دار الفكر ، ط (٢) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٩٤ . محمود بن أحمد الزنجاني ، تهذيب الصّحاح ، دار المعارف ، مصر ، (د. ت) .
- ٩٥ . محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف ، دار المعرفة ، (د. ت) .
- ٩٦ . مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، (د. ت) .
- ٩٧ . مروان بن أبي حفصة ، ذخائر العرب ، شعر مروان بن أبي حفصة ، دار المعارف ، ط (٣) ، (د. ت) .
- ٩٨ . مسلم بن الوليد الأنصاري ، ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ، مطبعة بريل ، ١٩٧٥م .
- ٩٩ . مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن ، مطبعة الاستقامة ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط (٨) ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- ١٠٠ . معمر بن المثنى التيمي ، مجاز القرآن ، مكتبة الخانجي ، (د. ت) .
- ١٠١ . مهلهل بن ربيعة ، ديوان مهلهل بن ربيعة ، دار صادر ، ط (١) ١٩٩٦م .
- ١٠٢ . مهيار بن مرزوية ، ديوان مهيار الديلمي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط (١) ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م .
- ١٠٣ . ميمون بن قيس بن جندل ، ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
- ١٠٤ . ابن نباتة المصري ، ديوان ابن نباتة المصري ، محمد القلقيلي ، ط (١) ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م .

١٠٥. نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
جواهر الكنز ، منشأة المعارف ، (د. ت) .
١٠٦. الهزليين، ديوان الهزليين، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .
١٠٧. همام بن غالب ، ديوان الفرزدق ، دار صادر ، (د. ت) .
١٠٨. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ، الطراز ، دار الكتب العلمية (د. ت) .
١٠٩. يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط (٢) ١٩٨٠م .
١١٠. يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط (٢) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١١١. يعقوب بن سفيان البسوي ، المعرفة والتاريخ ، مكتبة الدار البيضاء بالمدينة المنورة ، ط (١) ١٤١٠هـ .
- المنجد في الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط (١٠) .
- المنجد في اللغة ، انتشارات إسماعيليات ، (د. ت) .
١١٢. ابن الجزري ، الإصابة في تمييز الصحابة .
١١٣. صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة ، ط (٣) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الرقم
أ	الآية	.١
ب	الإهداء	.٢
ج	الشكر	.٣
١	المقدمة	.٤
٤	الباب الأول : الإيجاز	.٥
٤	الفصل الأول : الإيجاز لغة واصطلاحاً	.٦
١٧	الفصل الثاني : (موضعه في علم المعاني) أسراره البلاغية وموضعه في علم المعاني	.٧
٤٣	الفصل الثالث : أقسامه وتطبيقاته	.٨
٧٤	الباب الثاني : الإطناب	.٩
٧٤	الفصل الأول : الإطناب لغة واصطلاحاً	.١٠
٨٨	الفصل الثاني : أسرار البلاغية ورأي النقاد فيه	.١١
١٠٥	الفصل الثالث : أقسامه وتطبيقاته	.١٢
١٥٥	الخاتمة	.١٣
١٥٨	فهرس الآيات القرآنية	.١٤
١٦٩	فهرس الأحاديث	.١٥
١٧٠	فهرس الأشعار	.١٦
١٧٥	فهرس التراجم	.١٧
١٧٩	فهرس المصادر والمراجع	.١٨
١٨٩	فهرس الموضوعات	.١٩